وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحي فارس -المدية-

قسم الأدب العربي

فضاء الآخر وطباقية الرِّواية الأوروبية
قراءة في "كتاب الأدغال" لروديارد كبلينغ.

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللُّغة والأدب العربي تخصص

نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

سوقاني هاجر

مجاهد هدى

إشراف الأستاذ:

سليم حيولة

السنة الجامعية 2021/2020

شكر وعرفان

نشكر الله العليَّ القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدِّين القائل في محكم التنزيل ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم ﴾ سورة يوسف 76 صدق الله العظيم.

كما نتوجَّه بجزيل الشُّكر والتَّقدير إلى أولئك المخلصين الذين لم يألوا جهداً في مساعدتنا في مجال البحث العلمي

وأخص بالذِّكر الأستاذ الفاضل: سليم حيولة على هذه الدِّراسة وصاحب الفضل في توجيهنا ومساعدتنا في تجميع المادَّة البحثية

فجزاه الله كل خير.

والشُّكر موصولٌ إلى كلّ معلم أفادنا بعلمه من أولى المراحل الدِّراسية حتى هذه اللَّحظة.

كما نشكر كل من مدَّ لنا يد العون في إنجاز بحثنا المتواضع ولو بكلمةٍ طيبةٍ ونشكر كل أساتذة اللُّغة والأدب العربي عامة وأساتذة النَّقد خاصة .

وفي الأخير لا يسعنا إلَّا أن ندعو الله عزَّ وجل أن يرزقنا السَّداد والرَّشاد والعفاف وأن يجعلنا من المهتدين.

إهداء

أحمد الله عز وجل على مَنه وعونِه لإتمام هذا البحث.

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له أماله، إلى من كان يدفعني قدماً نحو الأمام لنيل المبتغى، إلى الإنسان الذي أمتلك الإنسانية بكل قوة.

إلى من أمتلك اسمه بكل افتخار، أبي **حكيم** الغالي على قلبي أطال الله في عمره.

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان، إلى التي صبرت على كل شيء

إلى التي رعتني حق رعاية وكانت سندي في الشدائد، وكانت دعواها لي بالتوفيق تتبعني خطوة بخطوة في عملي، إلى التي ارتحت كلما تذكرت ابتسامتها في وجهي نبع الحنان، **أمي جميلة** أعز ملاك على القلب جزاها الله عني كل خير.

الإخوة في الحياة هم السند ومصدر القوة، فإليهم أهدي هذا العمل المتواضع لكي أدخل على قلبهم شيئا من السعادة، إلى إخوتي **أمين صهيب، عبد الله، ونسيبة،** الذين تحملوا معي عبئ الحياة فاللّهم أنر طريقهم بالخير .

إلى أختي توأم روحي وزوجها الغاليين بارك الله فيهما وفي أولادهما **أسيل، وياسين،** حفضهم الله.

إلى **جدتي الغالية** التي في أوقات غربتي لم تبخل عني بنصائحها في الحياة، وحبها لي ، أحبك كثيرا أدامك الله نعمةَ كبيرةَ في حياتنا . إلى كل الصديقات اللواتي جمعني بهم القدر، إلى الذين قاسموني مقاعد الدراسة في الجامعة .

إلى كل من نسيهم القلم ولم ينساهم القلب.

سوقاني هاجر.

إهداء

إلى منبع طموحي الذي أعطاني الكثير...و مازلت أعيش في فيض عطائه

الذي أنار دربي بجهده و تشجيعه أبي العزيز.

وإلى ملهمتي التي وهبتني الحياة والأمل وذوتني بالحنان

المحبة أمي الغالية.

سندي في الحياة: آسيا فاطمة ابتسام شيراز ومحمد. .إلى إخوتي

إلى صغيرتي الجميلة: صوفيا كذلك ندى ومحمد وحلوتي ماريا

إلى أختي التي لم تلدها أمي غاليتي: شيماء.

إلى صديقاتي: هاجر إيمان علياء مروة هدى منال مروة الذين جمعتني بهم الدراسة فهم أجمل أصدقاء وأوفى مستشارين، وألطف ناصحين.

إلى صديقة طفولتي و رفيقة دربي وصندوق أسراري حلوتي: منى.

إلى رفيق دربي وليد

إلى كل من أوقفته عقبات الطريق وصعوبات الحياة عن تحقيق أحلامه

اهدي هذا العمل المتواضع راجية من المولى عز وجل أن يجد القبول و النجاح.

-هدى-

المقدمة

لقد ظهرت في السَّاحة النَّقدية الحديثة والمعاصرة عدَّة مناهج لدراسة الأعمال الأدبية، حيث أحدثت هذه المناهج نقلة نوعيَّة في طريقة قراءتنا للأدب، فظهر النَّقد الثَّقافي كإستراتيجية قرائية لمقاربة النُّصوص الأدبية مقاربة ثقافية، حيث يرى الأدب حدث ثقافي، وقد برزت فيه الدِّراسات الكولونيالية الَّتي قامت بدراسة وتحليل الخطاب السَّائد في فترة الإِستعمار والعمل على تفكيك المقولات الإِستعمارية الأوروبية.

ولقد حاول **إدوارد سعيد** تحليل الرِّوايات الأوروبية والقصص وبحوث المستشرقين وإِستخراج مختلف الأنساق المضمرة والخفية، من خلال تقديم آلية إجرائية جديدة تتجاوز القراءة الكلاسيكية تسمى بالقراءة الطِّباقية الَّتي تهتم بالمعنى الخفي ووضع النُّصوص في سياقاتها الخارجية، كما تقوم بكشف تمثيلات الآخر وفضائه المكاني من طرف الكاتب الغربي.

ولهذا إِخترنا موضوع **فضاء الآخر وطباقية الرِّواية الأوروبية قراءة في كتاب الأدغال لروديارد كيبلينغ.**

وتأرجحت أسباب إِختيارنا لهذا الموضوع بين أسباب موضوعية وأخرى ذاتية، تمثلت بعض الأسباب الموضوعية فيما يلي:

• مدى أهميَّته في السَّاحة الأدبية والنَّقدية خاصَّة.

• كون هذا الموضوع قد يكشف لنا ولو بالقليل تلك الممارسات العنصرية الَّتي عانت منها دول العالم الضعيفة.

• يعد طريقة جديدة لفهم النصوص الغربية والوصول إلى الدَّلالات العميقة الَّتي تحملها.

أما الأسباب الذَّاتية فكانت كالتَّالي:

• شغفنا الكبير بالنَّقد الثَّقافي الَّذي تجاوز الإطار الجمالي في كتابة الأدب، فهو يعتبر جديد نسبيا في السَّاحة النَّقدية.

• الوصول إلى التَّصورات الإِستعمارية الَّتي تحملها حكاية ماوكلي؛ الَّتي تعدُّ أحد أفلام الطُّفولة المفضَّلة.

• الرَّغبة في التَّأكيد أنَّ جلَّ الأعمال الأدبية المعروفة في العالم تحوي إيديولوجيات عنصرية وخطاب هيمنة عكس ما تبدو عليه.

وتطرح هذه الدِّراسة جملة من الإشكالات الواجب البحث فيها؛

كيف تجلى فضاء الآخر في كتاب الأدغال وما هو هذا الفضاء ما هي تمثيلات الآخر كيف تمَّ تمثيل الآخر في الكتاب وكيف تم تمثيل صوت الرجل الهندي المهمَّش مقارنة مع الإنكليزي وهل لتأليف كتاب الأدغال غاية أدبية أم أنَّ هناك غايات ودوافع كتب لأجلها الكتاب وهل يمكننا اِعتبار كتاب الأدغال خطاباً كولونيالياً هل الأدبُ الأوروبي في مجمله خطاب كولونيالي

وللإجابة عن هذه الأسئلة، تمَّ الاِعتماد على اِستراتيجية النَّقد الثَّقافي معتمدين المنهج الوصفي التَّحليلي في تناول الرِّواية.

و قد اقتضت طبيعة الدِّراسة خطَّة منهجية اِستهلت بمقدِّمة و فصلين؛ الأوَّل منهما حمل عنوان «**الدِّراسات الكولونيالية و تحليل الخطاب الغربي حول الآخر**»،

اِندرج تحته مبحثان؛ الأوَّل بعنوان «الدِّراسات الكولونيالية والرِّواية» حاولنا فيه أوَّلاً؛ التطرق لمفهوم الخطاب الكولونيالية والدراسات الكولونيالية وكيف استثمرت الدِّراسات الكولونيالية مفهوم الخطاب في بحوثها، وتناولنا ثانياً؛ الرِّواية الأوروبية الكولونيالية، أمَّا المبحث الثَّاني فحمل عنوان «القراءة الطِّباقية وكشف تحيُّزات الكتابات الأدبية»؛ تطرقنا فيه إلى مفهوم القراءة الطباقية أصولها، كما تناولنا الرِّواية الإنكليزية بالإضافة إل بعض نماذج لتمثيلات فضاء الآخر من كتاب **إدوارد سعيد** الثَّقافة والإمبريالية.

أمَّا الفصل الثَّاني بعنوان «**تجلِّيات فضاء الآخر وتمثيلات الآخر الهندي في الرواية**» يحمل مبحثين؛ الأوَّل بعنوان «روديارد كيبلينغ و الأدب الإنكليزي»، أمَّا المبحث الثَّاني فقد حاولنا فيه تطبيق إستراتيجية القراءة الطِّباقية على كتاب الأدغال من خلال فضاء الآخر كمكان عجائبي غريب وكذلك من خلال تمثيلات الآخر الهندي، لننهي دراستنا في الأخير بخاتمة حاولنا من خلالها عرض أهم النَّتائج الَّتي توصَّلنا إليها.

و قد اعترضتنا بعض الصعوبات كأي باحث مبتدئ منها قلَّة الدِّراسات الَّتي تناولت موضوع بحثنا لكن الأستاذ المشرف عمل جاهداً على توفير كل ما نحتاجه من مراجع، إضافةً إلى سعيه الحثيث على ضبط توجُّه البحث بإرشاداته ونصائحه السَّديدة.

ولا يسعنا في الأخير؛ إلاّ أن نشكر **الله عز وجل** أن وفَّقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع كما نتقدَّم بجزيل الشكر والتَّقدير للأستاذ المشرف **سليم حيولة** الَّذي كان سنداً وعوناً لنا طيلة مشوارنا الدِّراسي.

الفصل الأول

الدِّراسات الكولونيالية وتحليل الخطاب الغربي حول الآخر

المبحث الأوَّل؛ الدِّراسات الكولونيالية والرِّواية

المبحث الثَّاني؛ القراءة الطّباقية مفهومها وأصولها

المبحث الأوَّل؛ الدِّراسَات الكُولونيالية والرِّواية

أوَّلاً؛ الدِّراسَات الكُولونيالية واستثمارها لمفهوم الخِطاب

1- مفهوم الخِطاب

لقد اِحتلَّ مفهوم الخطاب مكانةً هامَّةً في حقل الدِّراسات النَّقدية المعاصرة؛ وذلك راجِعٌ لِاستثماره كموضوع للدِّراسة من قبل العديد من الدَّارسِين والباحِثين، خاصَّة في الدِّراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية؛ الَّتي اِعتمدته لأهَمِّيتِه في الكشفِ عن الأفكار الَّتي تحملها النُّصُوص الأدبية الأوروبية، وبهذا المَعنى حَيثُ إنَّ «**الخِطاب بحسبْ مَا نظَّر لَه فُوكُو مَنظُومة من المَقولاَتْ التي يُمكنُ أنْ يُدركَ العَالمُ دَاخِل حُدودِها**»[1]. فـ **فُوكو** نَظَّر للخِطاب ولمفهومه في الدَّرس الفلسَفي والأدبي المُعاصِر، حيثُ عدَّه مجموعة من المقولات التِّي يمكنُ فهم العَالم من خِلالهَا، والخِطاب بهذا المَعنى هو الَّذي يُقدِّم لنَا صُورة عن الوجُود، ولذلك فإنَّ محاولات فهم الخِطابات تسمحُ لنا بإدراك حمُولاته الإيديولوجية، وفهم المَعاني الخفية داخل النُّصوص الأدبية.

ويُعدُّ **ميشال فوكو** من بين المفكَّرين والدَّارسِين الذِّين اِهتَّموا بالخِطاب وإشكالاته بصفة عامة، فالخطاب مكمنٌ لظواهر خفية هي التي تُحدِّد رغباتنا أفكارنا وتوجُّهاتنا؛ إنَّ الخطاب عبارة عن مؤسَّسة تابعة للثَّقافة وهذه المؤسَّسة هي الَّتي تتَحكَّم في سيرورة حياتنا، فهي

[1]- بيل أشكروفت و آخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرَّئيسية ، تر: أحمد الروبى وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط 1، 2010، ص 101.

تُصدر أحكاماً حول الذَّات والآخر وتجعل صُورتها ثابتةً مستقرةً غير متحوِّلةً، وذلك اِستنادًا لجعل الذَّات هي الأصل والمنفرد الرَّاقِي أمَّا الآخر فيبقى هو المهمَّش والذِّي حُضوره كغيابه لا يُعطى له أي قيمة، ومنْ هذا فإنَّ «**إنتاج الخِطاب في كلِّ مُجتمعٍ هو في نفس الوقتِ إنتاجٌ مُراقبٌ ومنتفي ومنظَّم ومُعاد توزيعه، مِن خلال عدد الإجراءات التِّي يكونُ دورها الحدّ من سُلطاته ومخاطره والتحكم في حدوثه المُحتمل، وإخفاء مادِّيته الثَّقيلة والرَّهيبة**»[1]. حيث يتَّضح لنا أنَّ **فوكو** حدَّد إنتاج الخطاب في المجتمعاتِ بكونه صُورة مُراقبة ومنظَّمة، من خلال عددٍ من الإجراءات والقوانين التَّي لها دور بارز ومُهم للتَّحكم في سيرورة الخطاب وإنتاجه، بغية إخفاء ملامحه وظهوره في قالب مُضمر يصْعب على الفرد فهمها؛ فالخطاب بهذا المعنَى يوجَّه ضِمن مُؤسَّسة مُنتجة يَخضع إلى أحكامها وقوانينها.

فقد ركَّز **فوكو** في جلِّ دراساته على الخِطاب وكيفية إنتاجه والمسَاحة التي تشغل جميع إشكالاته ومضامينه، فـ «**بالنسبة لميشيل فوكو يُعد الخطاب مساحة منَ المعرفة الاجتماعية المُقيدة بأحكام**»[2]. فهو يشير بهذا إلى الخطاب بوصفه يحتلُّ مركزاً ومساحةً بارزةً ومهمَّةً في المنظومة الاِجتماعية، التِّي تنطوي تحتها عدَّة مفاهيم ومَضامينْ تهتم بالقضايَا الاِجتماعية الموجودة داخل الحيِّز الحياتي، وهذه المضامين والمفاهيم بدورها تكون مقيَّدة بأحكام وقوانين تضبطها وتحدِّد إشكالاتها، فالخطاب من هذا ظاهرة اِجتماعية تهتم بالقضايا الاِجتماعية وتسعى لضبطها وتقييدها بمجموعة من الأحكام.

[1]– مشال فوكو، نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، التَّنوير، ص4.

[2]– بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرَّئيسية، ص13.

فجلَّ الدِّراسات التِّي جَاءت بعده اِهتمَّت بنظريَّة الخِطاب وتَحليله فهو يُعدُّ الرَّكيزة الأولى لِبناء أي عمل أدبي وفلسفي، ومن الَّذين تناولوا مفهوم الخطاب **سَعد البازعي** الَّذي يقول: «**الخِطاب كَما يُشير فُوكُو أيضاً في نظام الخِطاب، دَورًا واعياً يتمَثَّل فِي الهيمنة الَّتي يُمارسُها في حَقلٍ مَعرفيٍّ أو مِهني ذلك الحقل على أهّلية المُتحدِّث وصِحَّة خِطابه ومشروعيَّته ومَا إلى ذلك من مُلابسَات تُشير بوضُوح إلى إنتاج الخِطاب، وتوزيعِه ليس حُرًّا أو بريئًا كمَا قد يبدو من ظَاهره**»[1]. حيث تكمن أهميَّة الخطاب في قدرته على التَّحكم في الحقول المعرفية المختلفة وضبط قوانينه، فبهذا يمارس نوعا من السَّيطرة والهيمنة على حقل من الحقُول المَعرفية.

تكمن أهميَّة الخطاب كونه يتجاوز الشَّكل اللُّغوي إلى الوظيفة التَّأثيرية، إضافة إلى أنَّ له أهمية جوهرية فهو « **يُزاوج بين القوَّة والمعرفة، منْ يملك القوة يتحَكَّم فيمَا هو معروف، وفي الطريقة التي يمكن أن يعرف بها، وأولئكَ الَّذين يملكونِ مثل هذه المَعرفة لديهم السُّلطة على الذين لا يملكونها**»[2]. فالخِطاب هو نسيجٌ يتكوَّن من القوَّة والمعرفة، فَلا وجود لقوَّة بدون معرفة فهما يعدَّان وجهان لعملة واحدة، فالقائل بالخطاب إذا كان له مَعرفة جلية وموسعة وعميقة يُعدُّ أكثر سلطة من الَّذي لاَ يملك تلك المَعرفة فهو بهذا القول يعدُّ مركزاً للقوة .

[1]– ميجان الرّويلي، سعد البازعي، دليل النَّاقد الأدبي، المركز الثَّقافي العربي، الدَّار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص156 .

[2]– بيل أشكروفت، و آخرون، دراسات ما بعد الإستعمارية، المفاهيم الرئيسية، ص14.

ويعدُّ **إدوارد سعيد** أوَّل من استخدم مصطلح الخطاب بصيغة جديدة وذكية، حيث أعطى له مكانةً خاصَة في دِراساتِه وأبحاثه، ويتجَلَّى ذلك من خلال اِعتباره مصطلح الإستشراق أنَّه خطابا بالمعنى الفوكوي، أي أنَّه نسبه إلى **ميشال فوكو** حيث يقول: «**ما لم نفحص الاِستشراق بِاعتباره لوناً من ألوانِ الخطاب، فلن تتمكَّن مطلقاً من تفهم المبحث المُبالغ الانتظام، الَّذي مكَّن الثقافة الأوروبية من تدبير أمور الشرق**»[1]. **إدوارد سعيد** أقرَّ أنَّه لا يمكن فهم **الاِستشراق** كدِراسة شَاملة دون عدِّها خطاباً يكشف كيفيَّة السَّيطرة من طرف الأوروبيين في تسير أمور الشَّرق وضبط قوانينها، فـ **سعيد** يؤكِّد على جعل الاِستشراق يقعُ تحت مُصطلح الخِطاب، وذلك راجع لقدرة المُصطلح على حمل هذه الدِّراسة المهمَّة الشَّاملة، فقد ساعد **ميشال فوكو إدوارد سعيد** بطرحه لفكرته عن الخطاب، وفي تحديده لمفهوم الاِستشراق والحقول الَّتي يدرسها، فمن هذا يتبيَّن لنا أنَّ الخِطاب هو الذي سَاعد الثَّقافة الأوروبية في السَّيطرة على الشَّرق؛ من خِلال وضعها أفكارًا اِستعمارية داخل الخطابات ليتمَّ استهلاكها والتَّأثير بها على الشُّعوب، وبذلك غرس ثقافة اِستعمارية تدعم وتعزِّز مصَالحهم الاِستعمارية على شعوب العالم الثَّالث، «**في اِعتقادي أنَّه من دون مفهوم الخِطاب لا يستطيع المرء أن يفهم الحقل المنظَّم تنظيماً هائلاً، الَّذي اِستطاعت أوروبا بواسطته أن تديره بل وتنتج الشَّرق سياسيًّا واِجتماعيًّا وعسكريًّا وإيديولوجيًّا وعلميًّا خياليًّا**

[1]– إدوارد سعيد، الاِستشراق، المفاهيم الغربية للشَّرق، تر محمد عناني، رؤية للنَّشر والتَّوزيع القاهرة، ط1، 2006، ص46.

أثناء عثرة ما بعد التنوير»[1]. يؤكِّد **إدوارد سعيد** أنَّ مفهوم الخِطاب هو الَّذي يساعد على فهم الحقول المعرفية المنظَّمة، حسب **إدوارد سعيد** بواسطة الخِطاب اِستطاعت أوروبا السَّيطرة على الشَّرق، فكلَّما زادت قوة الخِطاب كلما أدَّى إلى نتائج كبيرة وزادت من ممارسته على الشُّعوب المهمَّشة الضَّعيفة، فنستنتج من هذا أنَّ الخِطاب والاِستعمار يعدَّان وجهان مُكمِّلان لبعضهما البعض، وفي الوقت نفسه يُؤدِّيان نفس النَّتائج ألاَ وهي السَّيطرة والهيمنة؛ الأولى بالثَّقافة والثَّانية بالسَّيطرة الإقليمية.

2- مفهوم الكُولونيالية

الكُولونيالية تعريب للكلمة الغربية اِستعمار؛ وهو وليد العصر الحديث حيث اِستَعمرت أغلب البلدان الأوروبية دولاً في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللَّاتينية، فقد مارست القوى الأوروبية العظمى هيمنتها على بلدان العالم الثَّالث الضَّعيفة من خلال تحويلها إلى مستعمرات تمارس عليها السُّلطة وتفرض على شعبها قوانين ومعاملات خاصَّة، «**وهكذا يمكن تعريف الاِستعمار بأنَّه غزو أراضي وممتلكات شعب آخر والسَّيطرة عليها** »[2]. حيث سعت الدُّول العظمى بكل الأساليب والطرق إلى توسيع مجالها على حساب الدُّول الضَّعيفة، من خلال إخضاع الشُّعوب المستعمَرة للسَّيطرة، ونهب ممتلكاتها وثرواتها بالقوة وبسط السُّلطة عليها،

[1]- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النَّاقد الأدبي، ص157.

[2]- آنيا لومبا، في نظريَّة الإستعمار وما بعد الإستعمار، تر محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنَّشر والتَّوزيع، اللاَّذقية، سورية، ط1، 200، ص 18.

فهو «**الإستيلاء بالقوة على الأرض والاقتصاد** »[1]. فالدُّول الأوروبية لم تكتفي بالإستيلاء على أراضي مستعمراتها وممتلكاتهم، بل قامت حتى بالتحكم في الاقتصاد وحرمان الشعب المستَعمر من ثروات وخيرات بلده.

فالإستعمار بذلك يقوم على علاقة اِستغلالية بين المستعمِر والمستعمَر، وكل أشكال الظُّلم والعنصرية الممارسة تجاه المستعمرات فهو «**نفي منظم للآخر من حيث هو قرار صارم بإنكار كل صفة إنسانية على الأخر** »[2]. يظهر لنا من خلال قول **فانون** أنَّ الإستعمار يتَّسم بالمركزية المهيمنة، الَّتي تقوم على إقصاء مكانة الآخر وفرض السَّيطرة والنُّفوذ عليه، فهي تعطي للأوروبي كلّ الصِّفات الإنسانية الفاضلة على حساب الآخر.

ويرى **إدوارد سعيد** في كتابه الثَّقافة والإمبريالية:«**إنَّ الإستعمار الَّذي هو دائمًا تقريبًا من عقابيل الإمبريالية فهو زرع مستوطنات في بقاع الأرض قصية**»[3]. فالإستعمار حسب **سعيد** تمَّ عن طريق إنشاء مستوطنات من طرف الدُّول الأوروبية العظمى في بلدان شرق آسيا وإفريقيا بالقوَّة، وفرض القوَّة العسكرية وبسط النُّفوذ عليها.

---

[1]– آنيا لومبا، في نظريَّة الإستعمار وما بعد الإستعمار، مرجع سابق، ص 34.

[2]– فرانس فانون، معذبو الأرض، تر: سامي الدروبي، جمال الأتاسي، مدارات الأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2015، ص 200.

[3]– إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الأدب، لبنان، بيروت، ط 4، 2014، ص80 .

لكنّ الإِستعمار عموماً لم يكن يهدف إلى غزو أراضي خارجية وتعميرها فقط، إنَّما كانت أهدافه خفيَّة يسعى لتحقيقها، فأراد أن «**يعيد تشكيل مناطق مادِّية وحقول اِجتماعية بالإضافة إلى هويَّات بشرية بصورة عنيفة على الأغلب**»[1]. فالإِستعمار لم يكن يهدف إلى الإِستيلاء على أراضي شعوب البلدان الضَّعيفة فقط، وإنَّما عمل جاهداً على إعادة إنتاج حقول اِجتماعية من خلال التَّحكم في هويات الشُّعوب وإنتاجها وفقا لما يناسب مصالحه، حتَّى لا يواجه صعوبات تعيقه في تطبيق خططه الإمبريالية.

أمَّا **بيل أشكروفت** هو الآخر كانت له مساهمة كبيرة في تحديد ماهية المصطلح فيقول:« **يعدُّ مصطلح الكولونيالية ذا أهمِّية في تحديد الشَّكل المحدَّد للاِشتغال الثَّقافي، الَّذي تنامي بالتَّزامن مع التَّوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة**»[2]. نجد أنَّ **بيل أشكروفت** ربط مصطلح الكولونيالية بالثَّقافة، فيَعتبر مصطلح الكولونيالية مهم في الإِشتغال الثَّقافي حيث اِعتمدته الدِّراسات الثَّقافية كمجال للدِّراسة في الفترة الأخيرة، وقد عرفت الحركة الكُولونيالية انتشاراً واسعاً في العالم تزامنا مع رغبة الدُّول الأوروبية في توسيع مجالها، والبحث عن المصادر الأولية للإنتاج.

[1]– آنيا لومبا، في نظرية الإِستعمار وما بعد الإِستعمار، ص190.

[2]– بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرَّئيسية، ص94.

3- الدِّراسات الكُولونيالية

الدِّراسات الكُولونيالية مسلك بحثي ظهر في ثمانينات القرن الماضي قام به مجموعة من المفكرين أمثال **فرانز فانون** و**إيمي سيزر** و**إدوارد سعيد**؛ حيث قاموا بدراسة الخطاب الغربي السَّائد في الفترة الإِستعمارية، وإِستقراء ما يحمله من الأفكار والأديولوجيَّات وكذلك تلك الأنساق الثَّقافية الخبيثة المضمرة، و«**تعتبر الدِّراسات الكولونيالية معبراً من الأدب المقارن إلى الدِّراسات ما بعد الكولونيالية، وذلك لأنَّ الأولى كانت السَّباقة إلى التَّناول الثَّقافي للنُّصوص الأدبية بجعلها نقدًا ثقافيًا يهتم بدراسة الخطاب المسيطر وكشف الأنساق الفكرية التي تشتغل داخل النصوص**»[1]. حيث تسعى دراسات الخطاب الكولونيالي إلى تناول النُّصوص الأدبية الأوروبية وكشف علاقات الهيمنة والتَّسلط الَّتي تحملها تلك النُّصوص الغربية في الفترة الإِستعمارية، وإبراز جملة الأنساق الفكرية والثَّقافية الَّتي تحملها، وقد عملت على كشف تلك السِّياسات الإِستعمارية التي تمارسها الدُّول الأوروبية على الشُّعوب الأخرى.

فالدِّراسات الكُولونيالية تدرس النُّصوص الأدبية التي أُنتجت في الفترة الكولونيالية، إِعتمدها المستعمِر كوسيلة للهيمنة على الشُّعوب الضَّعيفة وبسط السُّلطة؛ حيث تحمل تلك النُّصوص مقولات وأفكار مؤسَّسة، فـ «**الدَّراسات الكولونيالية ترى أنَّ الأدب والنُّصوص**

[1]- سليم حيولة، إِستراتيجيات النَّقد الثَّقافي في الخطاب المعاصر؛ من القراءة الجمالية إلى القراءة الثَّقافية بحث في الأصول المعرفية، دار ميم للنشر،الجزائر، ط 1، 2021، ص 112.

الإبداعية على العموم تنطوي على خطاب هيمنة وإقصاء للآخر»[1]. فهي تساعدنا في فهم النُّصوص الأدبية الأوروبية المكتوبة في العصر الحديث؛ تلك النُّصوص الَّتي تحوي داخلها جملة من الخطابات الخبيثة تراوحت بين خطاب هيمنة إقصاء، فقد أصبحت وسيلة من وسائل الهيمنة الثَّقافية الأوروبية على بلدان شرق آسيا وإفريقيا، فهي أعمال متشبِّعة بالمركزية الأوروبية تهدف إلى تقديم صورة راقية عن الأوروبي على عكس الآخر المهمَّش.

فالخطاب الغربي السَّائد في القرن التَّاسع عشر «**هو مركَّب العلامات والرُّموز والممارسات، الَّذي ينظِّم الوجود الاِجتماعي والتَّوالد الاِجتماعي داخل العلاقات الكولونيالية**»[2]. فالخِطاب الكُولونيالي هو خطاب يسعى لتصوير العلاقات الاِجتماعية بين المستعمِر والمستعمَر في الفترة الكولونيالية.

فالآثار النَّاتجة عن الكُولونيالية لم تقتصر على السِّياسة والاقتصاد وإنَّما شملت كل المجالات، فقد أثَّرت في الثقافة والأدب، فأنتجت خطابات تحمل في طيَّاتها أفكارا اِستعمارية، لذلك « **فالخطاب الكولونيالي منظومة من المقولات التِّي يمكن إطلاقها من المستعمرات والشُّعوب المستعمرة، وعن القوى المستعمرة والعلاقة بينهما وهو منظومة المعرفة والمعتقدات بشأن العالم الذي تحدث داخل أركانه أفعال الاِستعمار وعلى الرغم من هذا الخطاب يتم توليده داخل مجتمع المستعمرين وفي حدود ثقافتهم فقد صار هو**

[1]– سليم حيولة، اِستراتيجيات النَّقد الثَّقافي في الخطاب المعاصر، مرجع سابق، ص113 .

[2]– بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص 100.

الخطاب الذي قد يرى المستعمرون أنفسهم داخله أيضا »[1]. يمكن القول بأنَّه مجموع الأفكار والمعارف التي تنتجها المؤسَّسات الإِستعمارية، بغية التَّأثير والتَّحكم في الكيان المستعمَر وترسيخ فكرة أنَّهم شعب متخلف وتابع لتلك الدُّول العظمى التي جاءت لنشر الحضارة والثَّقافة بينهم.

ويُعتبر **إدوارد سعيد** أول من إِستخدم نظرية تحليل الخطاب الكُولونيالي على الرِّواية والقصة وبحوث المستشرقين في مختلف المجالات، حيث تكلَّم في كتابه الإِستشراق عن الخِطاب الكُولونيالي القائم على التَّفرقة بين الشَّرق والغرب بإِعتبار الغرب كيان متأسِّس له قيم حضارية منذ القدم عكس الشَّرق فـ «**جرى تداول هذا المصطلح بعدما وظَّفه إدوارد سعيد الَّذي رأى أنَّ فكرة ميشيل فوكو عن الخطاب وسيلة قيِّمة لوصف تلك المنظومة، التي نشأ بداخلها ذلك المجال من الممارسات التي إِصطلح عليه اسم كولونيالي**»[2]. فتأثُّر **سعيد** ب**ميشيل فوكو** يبدو واضحا، ويمكن القول بأنه هو من دفع بـ **إدوارد سعيد** على نقل خطِّه النَّقدي من سكَّة النَّص إلى الخطاب ف **إدوارد سعيد** درس ذلك الخطاب الَّذي يحمل مجموعة من المفاهيم والقيَّم التي إِستطاعت التَّحكم في هوية الآخر.

ولقد حاول **إدوارد سعيد** من خلال نظريته في تحليل الخطاب الكولونيالي الوصول إلى المسكوت عنه في النُّصوص الغربية، وإبراز تلك الصُّورة المصطنعة التي شكَّلتها الدُّول

[1]– بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرَّئيسية، مرجع سابق، ص 101.
[2]–ميجان الرّويلي، سعد البازعي، دليل النَّاقد الأدبي، ص100 .

الأوروبية عن شعوب العالم الهادفة إلى تهميش الآخر والتَّأكيد على مركزية الأوروبي وقوَّته، فنظرية تحليل الخطاب هي عبارة عن «**تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات، من نتاج يعبِّر عن توجهات اِستعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب**»[1]. فهي تحليل لتلك المنظومة الفكرية والثَّقافية التي أنتجتها الدُّول الأوروبية، والتي تعبِّر تعبيراً واضحاً عن الوجه الحقيقي للدُّول الاِستعمارية، كما تسعى أيضا إلى محاولة الوصول إلى مجموع الأفكار الخفيَّة في النصوص الأدبية.

ثانياً؛ الرِّواية الأوروبية الكولونيالية

يحتل فن الرّواية مكانةً خاصَّة لدى القارئ والمتلقِّي، فهو الفنّ الذِّي يسحر القارئ ويبهر المتلقي ويبيِّن له مكامن مخفية، فنجد الرِّواية الأوروبية الحديثة تميَّزت بعدَّة صفات جعلتها تحتل مكانةً خاصَّة في الآداب العالمية، فالرِّواية آنذاك كانت تهتم بعِدَّة مسائِل منها الإمبريالية والاِستعمار، وذلك راجع للفترة الَّتي كانت فيها، فقد برزت الرِّواية في هذه الفترة لِخدمة الإمبريالية وذلك من خلال غرس ثقافة السَّيطرة والهيمنة على الشُّعوب الضّعيفة، حيث أنَّ «**الرِّواية الأوروبية الواقعية العظيمة وِفق مُقاربة إدوارد سعيد متورِّطة في صِياغة المشروع الإمبريالي فِي القرن التَّاسِع عشر، ومِن هنا توجَّهت قراءته لأعمال هذه الرِّواية إلى كشف علاقتها بالتَّوسع الإمبريالي والاِستيلاء على الأراضِي في إفريقيا والهند والأقاليم**

[1]– ميجان الرّويلي، سعد البازعي، دليل النَّاقد الأدبي، مرجع سابق، ص158.

العربية في العَالم »[1]. فإ**دوارد سعيد** بيَّن لنا أنَّ الرِّواية الأوروبية في القرن التَّاسِع عشَر، شاركت في إنتاج مشروع إمبِريالي قائم على السَّيطرة دول العالم، فمن خِلال تَحليله للرِّواياتِ والنُّصوص الإبداعية الأوروبية اِستطاع كشف علاقتها بالتَّوسع والسَّيطرة الإمبريالية على الأراضِي والمُستوطنات أو مَا يُسمَّى بدول العالم الثَّالث، فالرِّواية الأوروبية ساهمت بشكل كبير في نشر الفكر الاِستعماري و دعمه في العالم.

فالرِّواية أصبحت مِن أكثر الأشكال الأدبية رواجاً في العصر الحديث، وذلك راجع لِكونها غالباً ما تُصوِّر عن قرب ما يَحدث في الوسط الاِجتماعي، فهي بهذا فنّ يهدفُ لإيصَال معنى أو هدف مُعين، وفي سياق حديثنا عن الرِّواية بصفة عامَّة يُمكننا الوُلوج إلى عالم الرِّواية الأوروبية بصفة خاصَّة لأنَها هي ما يهمُّنا في موضوعنا هذا، «**إنَّ الأدب الأوروبي ليس مُجرَّد أدب مكتوب في أوروبا، أو كتبه الأوروبيون لكنَّه نتَج في بوتقة تاريخٍ منَ التَّفاعلات الَّتِي ترجع إلى العصور القديمة...يُمكننا أن نَرى كيف أنَّ النُّصوص الأدبية من خِلال ما تقوله وفي عملية كتابةِ هذه النُصوص ذاتها هي مركزية بالنِّسبة لتاريخ الآخر**»[2]. من هذا القول نستنتجُ أنَّ الأدب الأوروبي كتسمية ليسَ مُجرد أدب أصلهُ أوروبي، أو رَاجعٌ لكُتاب أوروبيين الأصل، وإنَّما هو أدب نتج عن طَريق عِدَّة تفاعُلات وأمزجَة موجودة في العصُورِ القديمة، فهي حوصلة لما وَقع مِن أحداث في المُجتمعاتِ

[1]– طوني موريس، صورة الآخر في الخيال الأدبي، تر محمد مشال، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، ط1، 2009، ص17.

[2]– آنيا لومبا، في نظرية الاِستعمار وما بعد الاِستعمار، ص83.

الأوروبية القديمة، وعن طريق القِراءة والتَّفحُص والمزج بين هذه التَّفاعُلات يُمكننا الوصُول إلى أدب أوروبي متميز، لأنَّه ناتج عن عدَّة أفكار وأيديولوجيات مُختلفة، كما أنَّنا نرى فِي جلِّ النُّصوصِ الأدبية أنَّها فِي مُجملها تُؤدي إلى نظرةٍ واحدة ألاَ وهي المَركزيَّة والهَامش، ففي كِتابات الأوُروبيين نُلاحظ أنَّ نُصوصهم الأدبية في ذاتها تدعو للمركزية، أي إهمال الآداب الأخرى والعمل على الآداب الأوروبية وجعلها هي المركزَ دائماً، فأدبهم هو أدبٌ راقي مُميَّز عن بَاقي الآداب الأخرى، فالآخر هنا ليست له أي قِيمة أو صَوت لإنتاج أدب راقي فأدبه مستبعدٌ لا يرقى لمكانة الآداب العالمية

إنَّ النُّصوص الأدبية الأوروبية في العصر الحديث دعمت الإِستعمار بشكلٍ خفي، فبغض النَّظر على أنَّها نتاج أدبي إلاَّ أنَّها كانت شكل من أشكال الهيمنة على الآخر فـ«**يُلاحظ كل روائي و كل ناقدٍ أو مُنظِّر للرواية طبيعتها المؤسساتية فالرِّواية متَّصلة بصورة أساسية بمجتمع الطبقة الوسطى البرجوازية، وهي بعبارة شارل مورازاه ترافق بل هي بحق جزء من فتح المجتمع الطبقوسطيين البرجوازيين**»[1]. فقد أصبحت الرِّواية في العصر الحديث تابعة للمؤسَّسة الإِستعمارية، وظيفتها الجديدة إعطاء صورة مشوَّهة عن الآخر بل العمل على استبعاده والتَّأكيد على مكانته فالهامش، وترسيخ فكرة مفادها أنَّه متخلف تابع للغرب، فهي بذلك متَّصلة بالطَّبقة البرجوازية في المجتمعات الأوروبية لأنَّها تخدُم مصالحها، فهِي جزءٌ من عمل السُّلطة لإكمال هيمنتها على الشُّعوب الضَّعيفة، وبهذا

[1]– إدوارد سعيد، الثَّقافة والإمبريالية، ص 138.

نرى أنَّها لم تقُم بمهمَّتها الرَّئيسية وإنَّما أصبحت تَحمل في طيَّاتها أنساقاً ثقافيةً مضمرة تختبئ وراء ذلك الجانب الجمالي منها.

وقد عرفت الرِّواية الأوروبية في فترة سابقة عدَّة تطورات وتغيُّرات سَاهمت في فهم هذا الفّن بطريقة واضحة وجلية، حيث أنَّ الأوروبيين في تلك الفترة اِكتشفوا ما كانت تعنيه وما تحمله من أنساق خفية لها معاني توحي إلى الهيمنة والتَّسلط على حساب الجوانب البلاغية والجمالية، فـ «**بعد الحرب العالمية الثَّانية وانعكاساتها ونتائجها السِّياسية والاِجتماعية والثَّقافية، عرفت الكتابة الروائية تقهقرا كبيراً نتيجة اليأس الَّذي صار الأوروبيون يعيشونه اِتجاه الرِّواية الَّتي لم تساهم في تحقيق التَّفاهم، ولم تخدم التَّعدد الثَّقافي وإنَّما كانت تحمل أنساقاً ثقافيَّةً خبيثةً بتعبير اِيستهوب، وعملت على تكريس نظرة خاصَّة للآخر وممارسة المزيد من الهيمنة الثَّقافية**»[1]. لقد نتجت عن الحرب العالمية الثَّانية عدّة انعكاسات اِجتماعية وسياسية وثقافية جعلت الرِّواية تعيش حالة من التَّذبذب، فلم تعد تمثل التَّعدد الثَّقافي وإنَّما حملت في طيَّاتِها عدَّة أنساق ثقافية مضمرة، كانت تدعو إلى الهيمنة والسُّلطة على الآخر بطريقة غير مباشرة ومشفرة، إذ أنَّها بالمفهومِ الجديد تسعى للوصولِ إلى أهداف خفيَّة مُضمرة تناسِب مصَالح على غِرار الجانب الجمالي التَّأثيري، «**وسأذهب إلى حدِّ القول أنَّ الرِّواية الأوروبية كما نعرفها اليوم ما كانت ستوجد في غيَّاب الإمبراطورية، وبالفعل فإنَّنا إذا درسنا البواعث التي سبَّبت نشوءها فسنرى الاِلتقاء البعيد**

[1]– إدوارد، سعيد الثَّقافة والإمبريالية، مرجع سابق، ص 390.

تماماً عن أنْ يكون عرضيا بين أنساق السُّلطة السَّردية المشكلة للرِّواية من جهة وتشخيص عقائدي معقَّد يتبطَّن النُّزوع نحو الإمبريالية من جهة أخرى»[1]. فالرّواية الأوروبية الحديثة ما كانت لتصل لتلك الدرجة من الشهرة لولا مواكبتها لتحركات الإمبراطورية، فلقد استمدَّت الرِّواية قوَّتها من الإمبراطورية.

المبحث الثَّاني؛ القراء الطِّباقية وكشف تحيُّزات الكتابات الأوروبية

أوَّلاً؛ مفهوم القراءة الطباقية

كان **إدوارد سعيد** أول من اِستعمل مصطلح القراءة الطِّباقية في حقل الدِّراسات الكولونيالية، ويُقصد بها من منظور عام قراءة النَّص في الوقت نفسه مع نصوص أخرى الَّتي بدورها تتداخل معه، فالقراءة الطِّباقية بهذا تهتم بدراسة مجموعة من النُّصوص في نفس الوقت، وذلك اِعتماداً على التَّحليل المُعمَّق واِستخراج الأنساق المُضمرة المَوجودة داخل النَّص، فـ «**بمُصطلحات عملية تعنِي القراءة الطِّباقية كما أسميتها، قراءة النَّص بفهم لما هو مشبوك، حيثُ يظهر مؤلف ما مثال، أنّ مزرعة اِستعمارية لقصب السكر تُعاين بوصفها هامة بالنسبة لعملية الحِفاظ على أسلوب معين للحياة في انكلترا**»[2]. فمن هذا نرى أنَّ **إدوارد سعيد** هو الذي أطلق عليها هذا المصطلح، والتي قصد بها قراءة النص

[1]– إدوارد سعيد، الثَّقافة والإمبريالية، مرجع سابق، ص 138.

[2]– المرجع نفسه، ص 135.

والوصول إلى ما هو مشبوك فيه، فالقِراءة الطِّباقية هي التِّي سَمحت لنا بتفكيكِ النُّصوص الغربية، وكَشف المستور وفضح جماليات النُّصوص.

فقد اِعتمد **سعيد** في جُلّ دِراساته على هذه الإستراتيجية الجديدة، وذلك من خِلال دراسته للنُّصوص الأدبية الغربية، مع اِستنباط الأنساق المُضمرة التِّي توحِي في مُجملها إلى ثقافة إمبريالية بالدَّرجة الأولى، وبهذا فهو «**مُصطلح صاغه إدوارد سعيد لوصف منهَاج في قراءة نصوص الأدب الإنجليزي، بحيث تكشف المعنى الضِّمني العميق في الإمبريالية والعملية الكولونيالية، ويشير المصطلح المقتبس من الموسيقى إلى قراءة تجاوبية تطرح طباقاٍ للنص، ولهذا تعطي إمكانية لبروز التَّضمينات الكولونيالية الَّتي تضل من دون تضمينات مستخفية**»[1]. فالقراءة الطِّباقية هي طريقة في قراءة النُّصوص الكولونيالية الإنكليزية، كونها تكشف عن المعاني والأنساق المضمرة والخفية داخل الأعمال الأدبية؛ والتي توحي في كليتها إلى الإمبريالية والعملية الاِستعمارية، فيعود أصل هذا المُصطلح إلى العملية الموسيقية التِي تُعطي تجاوبية لنوتات أي اِستخدام عدّة ألحان في بناء موسيقى مختلفة، وذلك باستعمال آلات كثيرة فكل لحن يؤدِّي دوره في الفترة الواجب الظُّهور فيها، لذلك نجد **سعيد** اِهّتم بهذه العملية وذلك من أجل ظهور التَّضمينات الاِستعمارية المُضمرة داخل النُّصوص الإبداعية.

[1]– بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرَّئيسية، ص 120.

ولقد اِهتم كثير من النُّقاد والدَّارسين بهذه الإستراتيجية القرائية، وذلك راجع لأهمِّيتها في فهم واِستنباط الأنساق الثَّقافية المضمرة، فهي تعطي لنا فهماً عميقاً ومتوسعاً للنُّصوص الأدبية، فـ «**القراءة الطِّباقية هي قراءة تتجاوز الإطار الجمالي إلى محلولة البحث عمَّا يختبئ داخل النَّص، أو ما تُخبِّؤه النُّصوص ومالا يبدُو ظاهراً للعيان لأوَّل وهلة، حيث تتكفَّل القراءة الطِّباقية باِستخراج طبقة ثانية موجودة في ثنايا النَّص، والَّتي يمتد مفعولها لتكريس أنساق فكرية**»[1]. القراءة الطِّباقية هي قراءة عميقة للنُّصوص والخطابات الأوروبية، لا تهتم بالمستويات الجمالية وإنَّما تهدف لِاستخراج البنيات العميقة لا السَّطحية الَّتي تبدو للقارئ من الوهلة الأولى، وهكذا فهي تسعى لِاستخراج طبقة أخرى موجودة داخل النَّص وهي الأهم لأنَّ الكاتب قصد تضمينها في نصه بطريقة خفية.

وقد اِستعملها الناقد **إدوارد سعيد** في صدد تحليله للخطابات الغربية الحديثة، للكشف عن أساليب وأشكال الهيمنة الثَّقافية، كشف الأهداف الَّتي تدعم وتخدم مصالح الدُّول الإِستعمارية، و«**تسمح لنا القراءة الطِّباقية برؤية العملية الإمبريالية في نصوص محدَّدة، فهي أيضاً تفتح التَّداخل الكلِّي تقريباً بين الممارسة السِّياسية والثَّقافية في الإمبريالية العالمية** »[2]. فمن هذا القول نرى أنَّ القراءة الطِّباقية تسمح لنا بالحصول على رؤية عميقة وشاملة للإمبريالية المتضمنة والموجودة داخل النُّصوص، فهي تشير بصورة واضحة إلى

[1]– سليم حيولة، اِستراتيجيات النَّقد الثَّقافي في الخطاب المعاصر، ص 404.

[2]– بيل أشكروفت، بال أهالوا ليا، إدوارد سعيد، مفارقة الهوِّية، ص 137.

الهيمنة والسَّيطرة والممارسات السِّياسية المخفية، فهي تشير إلى دلالات عميقة للنُّصوص بعيداً عن الجمالية النُّصية.

للرِّواية دورٌ بارزٌ في عملية تحليل النُّصوص الأدبية، فهي تكشف بوضوح تلك الدَّلالات المخفية، فمفهوم القراءة الطِّباقية يقوم على مجموع العلاقات الدلالية المضمرة داخل النصوص الأوروبية، فهي تسعى لكشف الشفرات التي تحملها النُّصوص والأنظمة الخطابية، «**ولذلك ينبغي علينا أنّ نقرأ النُّصوص المكنونة العظيمة، بل ربما أيضا سجل المحفوظات الكامل للثَّقافة الحديثة ومقابل الحديثة في أوروبا وأمريكا، باذلين الجهد لِاستخلاص ما هو صامت أو موجود هامشيا أو مقموع عقائديا، كما في ذهني شخصيات كبليغ الهندية في مثل هذه الأعمال وتوسيعه وتأكيده والإفصاح عنه**»[1]. نلاحظ من هذا السَّند أنَّ القراءة الطِّباقية تسمح لنا باستخراج الأنساق الثَّقافية المضمرة بغية معرفة معناها والهدف من إخفائها في صيغ متنوعة داخل النُّصوص، فكل صامت ومسكوت عنه له عدة معاني مشفرة، ويجب على القارئ أو المُثقَّف الحرّ اِستخراجها ووضع الإشارة عليها لأنّ ذلك يُعد مُهمته كونه مُثقف حُر له حرية الكّشف عن الحقائِق والأمور التي تستحق الاهتمام والدفاع عنها كقضايا الثقافة الإمبريالية على الدول العربية بصفة خاصة، فالرّواية الأوربية هي روايةٌ مشفرة تحمل في طياتها عدة أنساق اِستعمارية، لمساعدتهم في نشر أفكارهم الإيديولوجية

[1] – إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ص 135.

لتحقيق الهيمنة الثقافية، ومثال ذلك روايات **كيبلينغ** التي دعمت الإمبراطورية والسيطرة الإِستعمارية.

وقد طبقها **إدوارد سعيد** على مجموعة من الرِّوايات العظيمة التِي لاَقت رواجاً كبيراً في السَّاحة الأدبية الغربية، من أجل أن يكشف الغايات التي كُتبت من أجلها تِلك النُصوص؛التِي تحمِل في ثناياهَا عدَّة أنساق اِستعمارية، و«**بدلاً من أن تكون القراءة الطِّباقية مجرَّد طريقة أخرى في قراءة النَّص، فإنَّها تفضح الواقع الجغرافي للإمبريالية وتأثيراته المادية البعيدة المدى على رقعة كبيرة من العالم**»[1]. فللقراءة الطِّباقية ميزة أخرى، إذْ أنَّها تكشف عن تلك التوسعات الأوروبية الممتدة إلى شرق آسيا وأفريقيا، فهي من حيث أنَّها منهاج لقراءة النُّصوص الأدبية واِكتشاف البنيات السَّردية، تهتم كذلك بالكشف عن أهداف الاِستعمار التي تتمثَّل في توسيع المجال الجغرافي، وفي الأخير يمكننا القول أنَّ القراءة الطِّباقية اِستطاعت أنّ تصل إلى جوهر الأنساق التي حملتها الرِّواية الكولونيالية الأوروبية في نظرتها للشعوب المتخلِّفة في ثقافتها وعاداتها.

[1]– بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص 131–132.

ثانيًا؛ الرِّواية الإنكليزية وكشف تحيزات الأنا

1- الرِّواية الإنكليزية

العصر الحديث هو العصر الذي اشتهرت فيه الرِّواية الإنكليزية وذاع صيتها في الأفق بين الآداب العالمية؛ فيه أُنتجت روايات وأعمال أدبية خالدة اشتهرت في بقاع العالم مثل رواية **كيم لروديارد كيبلينغ** ورواية **قلب الظَّلام لجوزيف كونراد**، فعُرِفت الرِّواية الإنكليزية في هذه الفترة بتأثُّرها الواضح بالحملات الكولونيالية وقد كانت صورة عاكسة للإمبراطورية الإنكليزية، حيث تفنَّنت الرِّواية في تصوير قوَّة الإمبراطورية وبطولاتها المزعومة، كما تميَّزت بتصويرها لفضاء الآخر أبشع صورة؛ ذلك الفضاء الَّذي مارس عليه الإنكليز السُّلطة، فمع «**حلول الـ1840 كانت الرِّواية الإنكليزية قد بَرَزَت بوصفها الشَّكل الجمالي المطلق في المجتمع الإنكليزي وصوتاً فكرياً رئيسياً فيه، إذا جاز التَّعبير، ولأنَّ الرِّواية اِكتسبت تلك المكانة الهامَّة في قضية وضع أوروبا الرَّاهن مثلاً، فإنَّ بوسعنا أن نعتبرها أيضاً مشاركة في إمبراطورية ما وراءَ البحار**»[1]. فلقد تمكنت الرِّواية أن تفرض صوتها، كما اِستطاعت أنْ تصل لما كانت عليه لأنَّها واكبت ما كان يحدث آنذاك في أوروبا والعالم، حيث يمكن أن نعتبرها قد ساهمت في نجاح الإمبراطورية الإنكليزية وتوسُّعها خارج أوروبا، فهي الوجه الثقافي لتلك التوسعات الكولونيالية.

[1]- إدوارد سعيد، الثَّقافة والإمبريالية ، ص 140.

وبِاعتبار أن الأدب غالبا ما يتأثَّر بالسِّياق الاجتماعي والتَّاريخي وحتى السِّياسي؛ فإنَّ الرِّواية الإنكليزية في القرن التَّاسع عشر شاركت في تلك الإمبريالية التي مارستها إنكلترا على شعوب العالم الثالث ومحاولتها للسَّيطرة على أجزاء كبرى من العالم، «**فالرَّواية الإنكليزية في القرن التَّاسع عشر تؤكِّد على الوجود المستمر(نقيضا للانقلاب الثوري) لإنكلترا، وعلاوة، فإنَّها لا تدعو أبداً للتَّخلي عن المستعمرات، بل تتبنى وجهة النَّظر البعيدة المدى <القائلة> بأنَّها ما دامت تقم ضمن مدار السَّيطرة البريطانية، فإنَّ هذه السيطرة هي نوعٌ من المعيار، وهكذا فهي تحفظ وتُصان جنباً إلى جنب مع المستعمرات**»[1]. فالرِّواية الإنكليزية الحديثة لم تقف في وجه الإِستعمار والإمبريالية الأوروبية بل كانت تدعم التَّوسع الإنكليزي في بلدان العالم الثالث، وعرف أدبائها بالولاء التَّام للإمبراطورية أمثال **ديزرائيلي جوزيف كونراد وجين أوستين وغيرهم**؛ فقد برع هؤلاء الأدباء في خضوعهم للإمبراطورية وترسيخ أدبهم لخدمتها حيث لَقَّب **إدوارد سعيد** الشَّاعر والرِّوائي المعروف **روديارد كيبلينغ** في كتابه الموسوم بالثَّقافة والإمبريالية بشاعر الإمبراطورية؛ نظراً لجعل نصوصه تحمل أنساقاً فكريةً تتَّسم بالهيمنة الإنكليزية والتَّمييز بين الرَّجل الأوروبي الأبيض والزِّنجي، حيث أنَّ «**كل الرِّوائيين الإنكليز في منتصفِ القرنِ التاسعِ عشر وافقوا على وجهة نظر معولمة عن وصول السلطة البريطانية إلى ما وراء البحار** »[2]. فهنا يتَّضح جليًّا

[1]– إدوارد سعيد، الثَّقافة والإمبريالية، مرجع سابق، ص142.

[1]– بيل أشكروفت بال أهواليا، إدوارد سعيد، مفارقة الهويَّة، ص126–127.

كيف دعم الأدباء التَّوسعات الإِنكليزية وقد عرفوا بولائهم التَّام للإمبراطورية والسَّعي لخدمتها و تطبيق قوانينها.

ولقد عَرفت الرِّواية الحديثة نوعاً من الصِّراع بين المركز والأطراف من خلال محاولة الإمبراطورية الإنكليزية فرض سلطتها، وفي المقابل واجهت نوعا من الرَّفضِ والتَّمردِ من طرف المستعمِرين، فكانت الرِّواية الإنكليزية تتبع هذه الحركة و «**تشارك وتسهم وهي جزء من سياسيَّات بالغة البطء لا نهائية الصغر، توضح، وتعزز، بل ربَّما كانت من آن لآخر تدفع قدما التَّصورات ووجهات النَّظر حول إنكلترا والعالم**»[1]. فالرِّواية الإنكليزية هي جزء من الإمبريالية و شكلاً من أشكالها الثَّقافية، تحمل جملة من الأيديوجيات والأفكار الكولونيالية التي ساعدت الإمبراطورية الإنكليزية في التَّأثير على مستعمَراتها والتَّحكم في الشَّعب المنتمي إليها، فقدَّمت الرِّواية رؤية شاملة حول إنكلترا وحاولت قدر الإمكان تحسين صورة الإمبراطورية الإنكليزية أمام الرَّأي العام .

وعلى الرَّغم من اِنتشار الرِّواية الإنكليزية واِشتهارها في أوروبا والعالم ومحاولتها في الدِّفاع عن الإمبراطورية والتَّستر على أعمالها الشَّنيعة في حقِّ المستعمرات، إلاَّ أنَّها كشفت تلك الممارسات العنصرية بطريقة غير مباشرة، من خلال جملة الأنساق الثَّقافية الخبيثة المضمرة التي كرَّستها للتَّفريق والتَّمييز بين الأوروبي والزنجي، فـ «**كان ظهور وهيمنة الرِّواية الإنكليزية خلال القرن التاسع عشر أمراً لا جدال فيه من الناحية العملية...إنَّ**

[1]– بيل أشكروفت بال أهواليا، إدوارد سعيد، مفارقة الهويَّة، مرجع سابق، ص143.

اِستمرار السِّياسة الإمبريالية البريطانية خلال القرن التاسع عشر قد توافقت بنشاط بتمثيل الرِّواية لبريطانيا على أنَّها مركزاً إمبريالياً»[1]. فالرِّواية الإنكليزية في القرن التَّاسع عشر انصبَّ جلّ اهتمامها حول دعم تلك الممارسات المستبدة في حق الشُّعوب الضَّعيفة والعمل على تقديم بريطانيا للعالم على أنَّها مركزاً قويا لها الحق في ممارسة السَّيطرة على الشُّعوب الضعيفة.

وقد تناول النَّاقد **إدوارد سعيد** الرِّواية الإنكليزية في القرن التاسع عشر وحاول تحليلها من خلال كتابه الثَّقافة والإمبريالية، وقد عمل على إبراز تلك العلاقات المضمرة داخل الأعمال الأدبية الأوروبية التي تتَّسم بالهيمنة الغربية على الآخر، «**حيث يرى أنَّ الرِّواية الإنكليزية؛ أي تلك الَّتي انتشرت في القرن التَّاسع عشر الَّذي يعتبر قرن الرِّواية، يقرنه دائمًا بعلاقة تلك الرِّواية بالاِستعمار وخدمتها للإمبراطورية وتركيزها على الهند كمنطقة تعرضت للاِستعمار، وتظهر فيها صورة من خلال العلاقة غير المتكافئة بين الرَّجل الأبيض والهنود**»[2]. فتطوُّر الرِّواية الإنكليزية مرتبط بالاِستعمار بشكلٍ مباشرٍ، حيث لم يكن للرِّواية أَن تتطور لولا تتبعها لذلك النزاع القائم بين إنكلترا ومستعمَراتها خاصَّة الهند مثل: نصوص **وليام شكسبير** وغيره، حيث كرَّس هؤلاء الكتَّاب الرِّواية بجعلها تهتم بالعلاقة بين الذَّات الأوروبية والآخر المستبعد، وتسخير جملة من الأنساق الفكرية والثَّقافية التي تقوم «**بتثبيت الفضاء المرغوب، والمقوى اجتماعيا، في إنكلترا أو أوروبا الحواضرتين وبربطه بواسطة**

[1]– بيل أشكروفت بال أهواليا،ادوارد سعيد، مفارقة الهويَّة، مرجع سابق، ص 126– 127.

[2]– سليم حيولة، اِستراتيجيات النَّقد الثَّقافي في الخطاب المعاصر، ص392.

التصميم، والدوافع، والتطور بعوالم قصية أو أطرافية (ايرلندا، البندقية، أفريقيا، جاميكا) يتم تصورها <عوالم>مرغوبة لكنها مدوية خاضعة "[1] بل وتابعة للهيمنة الأوروبية .

2- تمثيلات فضاء الآخر

لقد قام إدوارد سعيد باستقراء مجموعة من الرِّوايات الغربية وتحليلها؛ تلك التي كُتبت في القرن التاسع عشر، وحاول أن يكتشف جملة الأنساق الفكرية والثَّقافية التي اعتمدها أدباء هذا العصر في نصوصهم الإبداعية، فقد تسابق هؤلاء في جعل أعمالهم الأدبية موقع صراع بين الأوروبي والآخر وتفنَّنوا في وصف صورة الآخر وفضائه العجائبي ف «**الكتاب الغربيين إلى منتصف القرن العشرين ويستوي في ذلك - ديكنز و أوستن، وفلوبير و كامو- كتبوا وفي أذهانهم جمهور غربي حصريا، حتى حين كان يكتبون عن شخصيات، وأمكنة، ومواقف تستخدم، وتشير إلى أراضٍ يملكها أوروبيون فيما وراء البحار، لكن لمجرد أوستن أشارت إلى انتيغوا في روضة مانسفيلد وإلى أقاليم زارتها البحرية البريطانية في<رواية> إقناع، دون أن تخطر ببالها أية أفكار عن الاستجابات المحتملة للأصلانيين الكاريبيين أو الهنود الذين يقطنونها** »[2]. حيث يتبيَّن أن الأدباء الأوروبيِّين نسبوا ملكية فضاء الآخر إلى أوروبا دون وعيّ منهم، و تظهر اللاَّمبالاة التي اعتمدتها جين أوستين عن ردَّة فعل السكان الأصلانيين لتلك المناطق المسلوبة أراضيها، فيظهر جليًّا أنَّ الأدباء

[1]- إدوارد سعيد، الثَّقافة والإمبريالية، ص120.

[2]- المرجع نفسه، ص134.

الأوروبيين متشبعين بالفكر الأوروبي المركزي الَّذي يستبعد الآخر لكن يسلب منه فضائه المكاني و ينسبه للأوروبي.

«**أمَّا بالنِّسبة إلى دزرائيلي ودانييل دوروندا اليوت فإنَّ الشَّرق هو جزئيا بيئة سكنى لشعوب أصلانيين (أو جماعات أوروبية مهاجرة)، لكنه أيضاً جزئياً مدمج مشتمل تحت سيطرة الإمبراطورية** »[1]. فلقد اعتبر هؤلاء الأدباء أنَّ المستعمرات الأوروبية ليست إلاَّ مكاناً للسَّكن لتلك الشعوب لكنها تبقى دائما خاضعة للحكم الأوروبي، حيث تجسِّد هذه الفكرة مركزية الذَّات الأوروبية وتهميش الآخر والاستيلاء على فضائه المكاني وقمعها والانتقاص منه.

وضمن هذا االسِّياق فانَّ «**رواية جوزيف كونراد قلب الظَّلام مثل مشهور لهذا النموذج، ففي هذه الرِّواية أفريقيا غابة بدائية ومصدر سلطة وثروة تأسر كورت البطل الاستعماري وتدفعه إلى الجنون، ويخبرنا مالرو راوي القصة أنَّه بينما ذكاء كورتز واضحا تماما ... فقد كانت روحه مجنونة** »[2]. هنا تتجسَّد مركزية الذَّات الأوروبية بوضوح فالرَّجل الأوروبي يملك السِّيادة على الأفارقة السود وعلى أرضهم، فالأوروبي هو مصدر الذَّكاء والحنكة على عكس الآخر المتخلِّف التَّابع، ف **جوزيف كونراد** يصوِّر في نصِّه إفريقيا على أنَّها فضاء بدائي وأدغال يعيش فيها مجموعة من البشر "المتخلفين" .

[1] – إدوارد سعيد، الثَّقافة والإمبريالية، مرجع سابق، ص131.

[2] – آنيا لومبا، في نظرية الإِستعمار وما بعد الإِستعمار، ص143–144.

وتستمر جملة التَّصورات التي تحملها الرِّواية الأوروبية حول إفريقيا وشعبها فنجد «**مواجهة مالرو الموظِّف الإداري الَّذي يرتدي، بصورة غير ملائمة وغير متوقعة، بدله بيضاء في وسط الأدغال تمنحه <فرصة صياغة> بضعة مقاطع استطرادية، كما تفعل مقابلته فيما بعد للرَّجل شبه المخبول شبه المهرِّج الذي أثَّرت عليه أيما تأثير هدايا كورتز**»[1] .

لقد قام كونراد في روايته على ترسيخ فكرة أنَّ الرَّجل الأبيض الأوروبي أفضل من الآخر الإفريقي فـ «**لقد كان الإستقلال وقفا على البيض والأوروبيين؛ وكان للشعوب الأدنى أو الخاضعة أن تحكم< فقط >؛ ولقد شعَّ العلم، والمعرفة، والتَّاريخ من الغرب، وعنه صدرت**»[2]. فالشَّعب الإفريقي لا يليق به سوى أن يكون شعب تابع للغرب ليس له الحق في أن يكون مستقل له السِّيادة، فهو شعب خاضع أدنى من البيض الأوروبيين .

بالرَّغم من أنَّ رواية قلب الظَّلام رواية من الرِّوايات التي نالت مكانة راقية بين الآداب العالمية، ولها تأثير في السَّاحة الأدبية الغربية إلاَّ أنَّها حسب **إدوارد سعيد** رواية إمبريالية بامتياز، كرَّست مجموعة من الأفكار والمقولات للسَّيطرة علي الشعب الإفريقي، فهي رواية متأثِّرة بالفكر الغربي المتشبِّع بالمركزية .

[1]– إدوارد سعيد، الثَّقافة والإمبريالية، ص94.

[2]– المرجع نفسه، ص94.

الفصل الثاني

تمظهرات فضاء الآخر وتمثيلات الآخر الهندي

المبحث الأوَّل؛ روديارد كيبلينغ والأدب الإنكليزي في الهند

المبحث الثَّاني؛ فضاء الآخر وتحيُّزات كتابات كيبلينغ

المبحث الأول؛ روديارد كِيبلينغ والأدب الإنكليزي في الهند

أوَّلا؛ روديارد كيبلينغ

يُعدُّ روديارد كِيبلينغ واحداً من أشهر الشُعراء والرّوائِيين لكِتابات الأطفال في العصر الحديث، وكذلك واحداً من أكثر الرّوائيين إثارة للجدل والنِّقاش بين النُّقاد والدِّارسين، فقد عُرف بِتمثيله للنَّزعة الاِستعمارية للإمبراطورية الإنكليزية رغم أصوله الهِندية كما أنَّه قَضى العديد من سنواتِ حياته في الهِند، ما ترك له أثراً كبيراً في أسلوبه الأَدبي واِختلاف موضوعاته فقد، « **وُلد رُوديارد كِيبلينغ في بومباي عام 1865، المدينة التي علَّم فيها والده صِناعة الفخَّار والنّحت في المدرسة الفنِّية التي تأسَّست في الآونة الأخيرة، لم يستطع جون لوكوود كِيبلينغ الزَّواج حتى عام1864، وذلكِ سوء حالته المادية وحينما حصل على هذا العمل في الهند، الذي جاء جزءاً من نشر الإمبراطورية للحركة الفنية والصِّناعة في الخارج**»[1]. فقد أشار **مارتن غِرين** في كتابه إلى حياة كيبلينغ والظُّروف التي عاشها من صِغر سنه حتى مماته، فقد كان والده فناناً وعالماً إنجليزياً، كما أنَّه اِحترف في صِناعة الفّخار والنّحت، أمَّا **كيبلينغ** فقد عاش طفُولةً قاسيةً وصعبةً، وذلك راجع للظُّروف التِي كان فيها، حيث أنَّه تحمَّل التَّخويف والنِّظام الصَّارم في المدرسة العسكرية التي كان فيها، كما أنّ جُل حياته لم تكن مُستقرة فقد عمل في عدّة مجالات صقلت مواهبه وجعلته يحتل مكانةً مرموقةً، وقد نلمس في أعماله أنَّه تناول عدَّة موضوعات

[1]– مارتن غرين، الرِّواية الإنكليزية في القرن العشرين، نقله محمد العبد الله، دار الفرقد، ط1، 2014، ص49.

مختلفة من الحياة، ولكن البارز فيها اِهتمامه بعظمة الإمبراطورية الإنكليزية، حيث أنَّه أنتج عدداً من القِصص القصِيرة التِّي تحوي أنساقاً داعمةً للإمبراطورية الإنكليزية، فقد جعل الجنود الإنكليز والحكَّام أبطالاً في جُلِّ قِصصه وأشعاره، وبهذا فقد مزج مَهاراته الفّنية ومعرفَته بأوضاع الهِند في قصِصه وكتاباته مما جعل كتاباته مقنعة ومأثِرة للمُتلقيين، « **مَا واجهه في الهند يُقرر بوضُوحٍ نزّعته اِتجاه كبرياء الطَّبقة اِلتي اِنغرست بداخله في المدرسة، لكن مَا واجهه لم يكن كثيراً مكونات اِجتماعية هِندية كطبقات اِجتماعية وكبرياء طبقة تنام على يد الإنكليز في الهند، أدبياً، وجد الثَّقافة الهِندية عوناً له ليُعبر عن هذا الإحساس**»[1]، فـ رُوديارد كِيبلينغ لمِا عاشه في صِغره جعله يُواجه الأّفكار والإيديولوجيات التي كبر عليها وتنامت داخله، عن طريق الدِّراسة في حين أّنّ تلك الأفكار لم تكن مُجرَّد مُكونات اِجتماعية في الهند، بل هي أفكار إنكليزية غُرست داخلهُ، فمن هذا اِستطاع رُوديارد كِيبلينغ التّعبير عن أفكاره وإحساسه عن طريق الاِستعانة بالظُّروف التي عاشها في الهند، أو بالأحرى ثقافتها المُستَعمرة، كما يمكننا ملاحظة أشعاره التِي تكونت في جلِّها من مدح الجيوش العسكرية والبحرية ومعسكراتها، حيث أنَّه كان يقوم بعدة زيارات لها، مما يؤكد لنا أنه بالفعل يُعد شاعر الطبقة الأرستقراطية العسكرية وشخصية الكاتب الذي يكتب للجنود بصفة خاصة، كما أنَّه كان فنَّاناً ذا مواهبَ هائلة ودليل ذلك الرّواج التِي لاَقته مُعظم كِتاباته ورِواياته، وكما أشار له عِدّة كُتّاب من بينهم **جيمس** بوصفه إياه أنه أكثّر العباقرة الذين عرفهم اِكتمالاً، فـ **روديارد كِيبلينغ** يُعدُّ أُسطورة في كتابة النَّثر والشِّعر معاً، خُصوصاً رِوايات الأطفال ومن أعظم

[1]– مارتن غرين، الرّواية الإنجليزية في القرن العشرين ، ص 54.

الرِّوائيين في الأدب الإنكليزي ككل، وبقي **رُوديارد كيبلينغ** يكتب بصورة أقل من ذِي قبل وذلك لِكبر سِنه والأمراض التي أُصيُب بها.

ثانيًا؛ أدب رُوديارد كيبلينغ الإنكليزي

لقد اِهتمَّ جوزيف **رُوديارد كِيبلينغ** بالكِتابة في شتى المّجالات ولاسِيما الرِّوايات وقِصص الأطفال والقّصائد وغيرها، وذلك رَاجع لموهبته في تجسيد الأفكار الإنسانية في صُورة الحيوان كمثال، كما أنه كَتب عدّة رِوايات مُهمة في الأدب الإنكليزي جَعلت نظرة البِريطانيين تتغيَّر اِتجاه الشُعوب الضّعيفة الأخرى، وذلك لِما حمِلته من مَعاني وأنساق داخلها، فأوَّل رِواية له هي **الضّوء الذي خبأ 1890**، والتي عُدت كدليلٍ لِاستطاعة كِيبلينغ على التّعبير عن مواضيع غير مُتصلة بالإمبراطورية البِريطانية، كما أنه كتب روايتين مُهمتين أبطالهما من الأولاد الصِّبيان وهما **القواد الشجعان 1897**، و**كيم** عام **1901** فمن خلال هذه الرِّوايات قدم لنا **كِيبلينغ** صُورة حيَّة عن ما تعيشُه المُجتمعات الهِندية، ولكن بقالب فني مُميز،« **إنَّ رِواية كيبلينغ كِيم مثلاً تحّتل مكانةً خاصَة جداً في تطور الرّواية الإنكليزية وفي المُجتمع الفيكتوري في مرحلته المُتأخرة، بيدَ أنَّ الصُورة التِي تحملها عن الهِند ذات علاقة مُتضادة بعمق مع تطور الحّركة السَاعية إلى اِستقلال الهند»**[1]. ف رِوايات **رُوديارد** ساهمت في تطوُّر الأدب الإنكليزي، وذلك من خلال الأّنساق التِي تحملها هذه الرِّوايات، إذ أنَّها تسعى في جُلها إلى اِستبعاد فكرة التَّحرر والاِستقلال للشُعوب الهِندية، وإنَّما هي مُندِّدة للاِستعمار الإنكليزي

[1]– إدوارد سعيد، الثّقافة والإمبريالية، ص101.

لها، كما أنَّنا نجده اِهتم بالكتابة على لِسان الحيوان وذلك عن طريق تجسيد أفكاره الإِستعمارية بطريقة مشفرة، « **ويكتب عن الغابة وقتال الحيوان والإنسان كأنَّه يعيش في العصور البدائية، وبراعته هنا تتجاوز الوّصف نثراً ونظماً فإنَّه يجعل أشخاص القِصَّة من الحيوانات التي تتكلم وتتناقش في حال من الأّلفة الذهنية التي لا يستطيعُها إلاَ كاتب كبير**»[1]. **رُوديارد** اِستعمل أفكاره في قِصص الحيوانات ليُعبر عن السَّيطرة التي يعيشها شعب الهنود، فقد جسَّدها في صورة الغابة وقتال الحيوانات كما نجدها في رواية **الأدغال** التِي نحن بصدد تحليلها في الأسطر القادمة، فمن هذا يؤكِّد لنا الموهبة والبراعة التي يمتلكها من مزجه للوصف والنثر وجعله شخصيات الحيوانات تتسجِم فيما بينها بطريقة مميَّزة، كما أنَّه جعل الغابة تبدو كمكانٍ اِجتماعي وسياسي مُكتمل، هذا ما جعل كُل قِصصه تحتل مكانةً مرمُوقة فلا يستطيع أي كاتب تجسيدها إلاَّ إذاَ كانت له براعة **كيبلينغ**، وكما أنّ لِكل بداية نهاية، فقد فَقَد كِيبلينغ الكثير من شَعبيَّته في الفترة الأخيرة من عمره، وذلك بسبب آرائِه المُختلفة في العديد من القّضايا كتأييده للتَّوسع الإنكليزي ولأّنه عارض إعطاء النساء حقهم في التصويت..، وظّل كِيبلينغ يكتب بنفس الطَّريقة إلاَّ أنه اِختلفت المُؤشرات وذلك لتطور وعي القُراء بالآثار والمّعاني التي كانت توحي إليها .

[1]– سلامة موسى، الأدّب الإنكليزي الحديث، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر،ط 1، ص47 .

المبحث الثاني: فضاء الآخر و تحيزات كتابات كيبلينغ

كتاب **الأدغال** "**The jungle**" لروديارد **كيبلينغ** "**Rodyard kipling**"، من الأعمال الأدبية الَّتي لاقت شهرةً ورواجاً في أواخر القرن التَّاسع عشر؛ هو عبارة عن مجموعة قصصية ألَّفها كيبلينغ سنة 1865 خلال فترة إقامته في الهند البريطانية؛ يتكون الكتاب من سبع قصص قصيرة تجري أحداثها غالباً في أدغال الهند التي كانت تخضع للِاستعمار الإنكليزي في الوقت ذاك، وقد تسابقت شركات الإنتاج في تصوير أفلام كرتونية مستوحاة من كتاب الأدغال، مثل **والت ديزني** سنة **1967** قامت بتحويل قصة **ماوكلي** إلى فيلم كرتوني.

رغم الشُّهرة التِّي نالها الكتاب إلاَّ أنَّ الأفكار التِّي كان يحملها مختلفة نوعاً ما عن ما يبدو عليه في الواقع، فـ **كيبلينغ** لم يكن يهدف إلى إنتاج روايات وقصص من أجل المطالعة والمتعة وإنَّما كانت له أهداف خفية أخرى، فلو تأمَّلنا نمط كتاباته نلاحظ أنَّ جلّ رواياته تحمل في طيَّاتها أنساقاً ثقافيةً تسعى لِاستبعاد الشَّعب الهندي وتهميشه، والتَّأكيد على قوَّة الجيش الإنكليزي وعظمة الإمبراطورية، بالإضافة إلى تصوير الهند على أنَّها فضاء عجيب وملغَّز فقد تفنَّن كيبلينغ في تصوير الرَّجل الهندي على أنَّه متخلِّف وهمجي.

فكتاب الأدغال يحمل عدَّة معاني عميقة لا تظهر للقارئ من الوهلة الأولى، لذلك نحن نسعى لإظهار تلك الأصوات المقموعة والدَّلالات الطِّباقية الخفية الَّتي اِستعملها كيبلينغ في كتابه.

أوَّلاً؛ ملخَّص قصة ماوكلي في الثلاث فصول الأولى

تدور أحداث القِّصة في غابة **سيونى** حيث تعيش مجموعة حيوانات برِّية تخضع لقانون الغاب، تبدأ حين يعثر الذِّئب وزوجته على **ماوكلي؛** وهو طفل صغير لجأ إليهما لكن النَّمر الشِّرير **شيرخان** تبعه إلى كهف الذِّئب كي يلتهمه، لكن الذِّئب وزوجته رفضا أن يسلِّما **ماوكلي** لـ **شيرخان** لأنَّه حتما سيأكله وسيحدث ما لم يكن في الحسبان فالقرية لن تسكت عن هذا الفعل وستهاجم الحيوانات وتنتقم لقتل البشري، فقرَّر الذِّئب أن ينتظر حتى تصبح جراؤه قادرة على المشي ليصطحبها برفقة زوجته و**موكلي** إلى صخرة المجلس ليفصل الذِّئب الأشوس **أكيلا** في قضية جرو البشر **ماوكلي،** قرَّر **أكيلا** أن يطبِّق قانون الغاب وهو وجود اثنان من القطيع يكفلان **ماوكلي** من غير أمِّه وأباه، فتطوَّع كلّ من الدُّب **بالو** معلم الجراء الصَّغيرة والفهد **باغيرا** أن يتكفَّلا به، وهكذا قبِل قطيع الذِّئاب بانضمام **ماوكلي** بكفالة من **بالو**.

ومع مرور الأيَّام وتقدُّم السَّنوات كبر **أكيلا** ومجموعة الذِّئاب التِّي تعرَّفت إليه حين أُحضر للمجلس، واتَّخذت الذِّئاب الصَّغيرة من **شيرخان** صديقاً لها طمعا ببعض الطَّرائد، وحين شعر **باغيرا** بخطورة الوضع نصح **ماوكلي** بأن يُحضر الوردة الحمراء من سكان القرية وذهبوا لحضور مجلس القطيع الذي حضره **شيرخان** فلم يكن ليجرُأ على الحضور لولا الضُّعف والكِبر الذِّي أصاب **أكيلا** طامعا في أن يسلِّموه **ماوكلي،** فحدثت مناوشات بين **ماوكلي** و**شيرخان** فطرح الجمرات الحمر أرضاً فاشتعلت الأعشاب اليابسة تراجع القطيع

للوراء خوفاً من النِّيران فهدَّد **شيرخان** بقتله ثمَّ ودَّع أصدقائه وانصرف من الأدغال إلى حيث ينتمي أي إلى قرية البشرية.

كل ما سيُحكى هنا حدث قبل أن يطرد **ماوكلي** من قطيع **ذئاب سيوني**.

لقد كبر **ماوكلي** بين الذِّئاب لقَّنه **بالو** قوانين الأدغال وعلَّمه نداء الاِستغاثة الذي سيحميه في مواجهة شعب الطُّيور وشعب الأفاعي وكل ما يصيد على أربعة قوائم عدا قطيعه، كما علَّمه **باغيرا** كيفية تسلُّق الأشجار...، وهكذا حتى أصبح صبيًّا يافعاً، حتى في أحد الأيَّام خطفه شعب القرود **الباندرلونغ** وقفزوا به بين الأشجار حتى وصلوا إلى مدينة القرود في بلدة مهجورة، فعلِم **باغيرا** و**بالو** بالأمر وفكَّروا في أن يستنجدوا بالثُّعبان **كا** لأنِّ **الباندرلونغ** يخافون منه؛ يستطيع تسلق الأشجار وتكمن قوَّته في ضمته، فوافق الثعبان **كا** على مساعدتهما لإنقاذ جرو البشر، وتوجه الثَّلاثة نحو مدينة القرود ووقع قتال شرس بين **الفهد الأسود** و**بالو** مع **شعب الباندرلونغ** إلى أن لحق بهم الثعبان **كا**، بمجرد أن لمحوه تفرَّق القرود يصيحون إنَّه **كا** اهربوا، إلى إن استطاعوا إنقاذ **ماوكي** من شعب القرود الشَّعب الذي لا تحكمه قوانين.

والآن سنعود للحكاية الأولى، حين ترك **ماوكلي** الأدغال بعد القتال مع القطيع واِتَّجه نحو الأراضي الزراعية، ولم يتوقف حتى وصل بلدة لم يكن يعرفها من قبل، قابله حشد من النَّاس برفقة الكاهن أمام البوَّابة ليتعرفوا عليه، فقرَّرت **ميسو** زوجة أثرى رجل في القرية أن تأخذه إلى بيتها ظنًّا منها أنه اِبنها الذي اختطفه النِّمر، وظلَّ **ماوكلي** ثلاثة أشهر لا يخرج

من بوابة القرية إلا نادرا مشغولا بتعلم عادات البشر وأسلوب حياتهم، حتى قرَّر الزَّعيم في أحد الأيَّام أن يذهب **ماوكلي** للرَّعي بقطعان الماشية مثل بقيَّة الصِّبيان في القرية، فكان يلتقي بأخيه **الذئب الأشهب** واتفقا على أنه في اليوم الذي لا يأتي فيه الأشهب إلى المكان المتَّفق عليه يعرف أنَّ **شيرخان** قد عاد إلى الشِّعاب، فوضع **ماوكلي** خطة للقضاء على **النَّمر شيرخان** وقد ساعده في ذلك **الذئب الأشهب** و**أكيلا**، فتمكَّن **ماوكلي** من قتله ثم سلخ جلده، وترك القرية بعدما طره السُّكان ظنًّا منهم أنَّه شيطان الأدغال ساحر وابن ذئب، مودِّعا **ميسو** واتجه نحو الأدغال مع أكيلا واجتمعوا عند الصَّخرة الكبيرة مثل العادة وبسط **ماوكلي** جلد **النمر** على الصَّخر، فطلب قطيع الذئَّاب من **أكيلا** أن يعود لقيادتهم مع **ماوكلي** فرفضا ذلك، وأصبح ماوكلي يصطاد برفقة الجراء الأربعة إلى أن أصبح رجلا وتزوج [1].

ثانيًا؛ فضاء الآخر

لقد قدَّم **إدوار سعيد** في كتابه الثَّقافة والإمبريالية إستراتيجية قرائية جديدة لتحليل النُّصوص الغربية تسمى القراءة الطباقية؛ «**وهي قراءة تتجاوزا الإطار الجمالي إلى محاولة البحث عما يختبئ داخل النَّص**»[2]. حتى يستطيع الوصول إلى مختلف المعاني والدَّلالات الخفية التي تحملها الرِّوايات الأوروبية وبهذا يكون **سعيد** قد تجاوز القراءة الأحادية التقليدية،

[1]- يُنظر روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال، تر آلاء نحلاوي، منشورات تكوين، الشيوخ الصناعية الجديدة، الكويت، ط1 سبتمبر/ أيلول 2019.

[2]– سليم حيولة، إستراتيجيات النَّقد الثَّقافي المعاصر، ص404.

ها نحن هنا اليوم بصدد دراسة إحدى تلك الرِّوايات الغربية التِّي حسب **إدوارد سعيد** هي خطاب إستشراقي بامتياز؛ ولا نستطيع الوصول إلى دلالاتها الحقيقية إلاَّ إذا حلَّلناها طباقيًّا أي نستخرج الدَّلالات العميقة المختبئة وراء ذلك الجانب البلاغي والجمالي.

ومن خلال تناول **إدوارد سعيد** للنُّصوص الغربية مثل قلب الظلام لـ **جوزيف كونراد** وروضة مانسفيلد ل **جين أوستين** أعطى لنا طريقة جديدة لقراءة وفهم النُّصوص والخطابات الغربية، فالقراءة الجديدة التي جاء بها هي مختلفة عن القراءة الكلاسيكية لا تهتم بالجانب الجمالي والبلاغي فقط؛ وإنَّما هي قراءة مختلفة تمكن النَّاقد الأدبي من الوصول إلى الدَّلالات الخفية تهتم بِإستخراج المعنى الطِّباقي وبالتَّالي تتجاوز القراءة الأحادية.

1- قراءة في عنوان الكتاب "**الأدغال**"

لقد تعمَّدنا تحليل العنوان نظراً لحمولته الدَّلالية، فالقارئ من الوهلة الأولى يظن أنَّه مجرَّد عنوان لمجموعة قصصية، لكن القارئ ذو الحس النَّقدي يكتشف أنَّ **كيبلينغ** تعمَّد تسمية الكتاب "**الأدغال**" ليشير أنَّ الهند عبارة عن أدغال كبير وفضاء غريب مملوء بمخلوقات غريبة، وقد تفنَّن **كيبلينغ** في تصوير فضاء الهند على أنَّه غريب وملغَّز، يحمل مجموعة من الحيوانات البرية المتوحِّشة والفتَّاكة، ولنؤكِّد هذه المقاربة النَّقدية سنحاول فهم الدَّلالات الخفية التي أسَّس على حسابها الكاتب هذا العمل الأدبي الرَّاقي.

2 – قراءة في المحتوى

بِاعتبار الرِّواية الإنكليزية في القرن التَّاسع عشر رواية إمبريالية دعمت الوجود الانكليزي في الهند؛ نجد أنَّها قائمة على تصوير فضاء الآخر، فالذَّات لا تدرك وجودها إلا من خلال وجود الآخر، لذلك الرِّواية الإنكليزي لم تستطيع إبراز مكانة الإمبراطورية وقوَّتها إلا من خلال تصوير فضاء الآخر أبشع صورة.

حيث أشارت الروايات الكولونيالية إلى الصِّراع بين الأوروبي والآخر وعلاقة الهيمنة التي تمارسها الذوات الأوروبية على الفضاء المكاني للآخر «**فالعلاقة الَّتي تشير إليها تلك الرِّوايات، بين الذات الأوروبية وغيرها من الذَّوات المشرقية أو الإفريقية أو الايرلندية وجنوب إيطاليا التي تدخل في حكم فضاء الآخر، هي علاقة هيمنة وتسلط مرتبطة بالفضاء أي مكان الآخر البعيد والَّذي يصير في تلك النصوص تيمة تبنى عليها أمور هامة**»[1]. فالرِّواية الإنكليزية الحديثة اِهتمَّت بالعلاقة القائمة بين الأوروبي وغيره في إطار فضاء الآخر الذي اِتخذته الرِّواية موضوعاً أساسياً لها فنجد العديد من الكتاب اهتموا بفضاء الآخر كمكان عجائبي وملغز.

ولقد برع الرِّوائي الكبير **روديارد كيبلينغ** من خلال قصة ماوكلي في تصوير الأدغال ووصفه وصفاً دقيق، حيث ترمز أدغال كيبلينغ إلى الهند باعتبارها فضاء عجيب

[1]– سليم حيولة، استراتيجيات النَّقد الثقافي المعاصر، ص 400.

يحمل مخلوقات غريبة وحيوانات برية فتاكة «**اِنتظر الذِّئب حتى أصبحت جراؤه قادرة على المشي فأخذها ليلة اِجتماع القطيع بصحبة ماوكلي و الذِّئبة إلى صخرة المجلس وهي قمَّة تل مغطاة بأحجار وصخور يستطيع مئة ذئب الاختباء بينها تمدد الذئب الأشوس الرَّمادي العظيم أكيلا على صخرته وهو الذِّئب الذي أمضى حتى ذلك الوقت سنة في قيادة القطيع بالقوة والدهاء**»[1]. فيصف **كيبلينغ** فضاء الآخر على أنَّه كبير وملغَّز يمثله بالغابة التي تحمل مختلف الحيوانات البَّرية منها المتوحشة والأليفة؛ الذئاب القردة الأفاعي الفيلة والدِّببة...، كما يقول في نص روايته «**أليس هناك ما يكفي من الخنافس والضفادع في البرك حتى يلجا إلى أكل البشر وفي منطقتنا أيضا**»[2]. «**جلس أسفل الصخرة قريب من أربعين ذئب من كل حجم ولون بينها ذئاب متمرسة بلون أغبش تستطيع اصطياد ظبي وحدها وذئاب سوداء فتية ذات ثلاثة أعوام تظن أنها قادرة على المثل**»[3]. كما تحمل الأدغال حيوانات مختلفة ومتعدِّدة الأليفة والمتوحشة منها، الهند هي الأخرى تحمل عدد كبير من السُّكان الهمجيين يعيشون في صراع مع بعض لا يوجد قانون يمتثلون له، طريقة عيشهم تختلف كثيراً عن الإنكليز «**تول النحيب إلى خرخرة هامسة تبدو كأنَّها آتية من كل مكان انه الصوت الذي يربك الحطابين و الغجر النائمين في العراء و يجعلهم يهربون باتجاه**

[1]– روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال، ص 15.

[2]– المرجع نفسه، ص10.

[3]– المرجع نفسه، ص49.

فكي النمر أحيانا»[1]. فالهنود يعيشون في قبائل وينامون في الخلاء مثل الحيوانات هذه إشارة إلى أنَّ فضاء الهند لا يتوفَّر حتى على مباني عادية، مما يضطر سكانه للمبيت في العراء.

كما مثَّل كيبلينغ الهند كمكان بقلب الظَّلام مثل ما فعل **جوزيف كونراد** في روايته المشهورة التي أطلق عليها اسم قلب الظَّلام إشارة إلى أفريقيا، فصوَّر كيبلينغ الهند على أنَّها فضاء مظلم و موحش«**أحب ماوكلي الذَّهاب مع باغيرا إلى قلب الظَّلام الدَّافئ أكثر من أي شيء آخر»**[2]. قد عمد الكاتب إلى تمثيل الهند بقلب الظَّلام ليشير إلى أنَّها أرض غريبة مملوءة بمخلوقات عجيبة؛ لطالما كانت فضاء ملغز للإنكليز سعوا إلى اِكتشافه والتَّعرف على كل ما تحويه.

كما اِستعمل **كيبلينغ** عبارات عديدة لوصف الفضاء الهندي «**هل في الأدغال شيء أصغر من أن يقتل»**[3]. اِعتبر القتل هو أقل شيء قد يحدث للرَّجل الإنكليزي في الهند فالشَّعب الهندي بهذا هو شعب متوحش وهمجي نتيجة للبيئة التي عاش فيها فالهند فضاء موحش لا قانون يحكم شعبها مثلها مثل حيوانات أدغال كيبلينغ « **شعب القرود الذين يعيشون في الأشجار، فهؤلاء لا قانون لهم، وهم منبوذون، لهم لغتهم الخاصة التي**

[1]– روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال،مرجع سابق، ص10.

[2]– المرجع نفسه، ص20.

[3]– المرجع نفسه، ص 39.

يستخدمون فيها كلمات مسروقة من أحاديث سمعوها وهم ينتصرون و يتلصصون من الأغصان في الأعلى»[1] .

وقد عمد **كيبلينغ** لوصف الهند كمكان عجائبي وغريب يضم مجموعة من الحيوانات البرية المتوحشة؛ تحتاج أن تحكمها الإمبراطورية الإنكليزية وتطبق عليها القواعد والقوانين لتنتظم الحياة في الأدغال، وقد اِعتمد على هذا الوصف حتى يعطي المبررات والحجج للاِستعمار الإنكليزي.

ثالثاً؛ تمثيلات الآخر

للآخر مكانة هامة في الدَّرس النَّقدي المعاصر؛ لِاستعمالاته المتعدِّدة خاصة الدِّراسات الكولونيالة وما بعد الكولونيالية؛ الَّتي اِستثمرته في بحوثها خاصة تحليل الخطاب الكولونيالي، نظرا لبروزه كتيمة أساسيَّة في الرِّوايات الغربية؛ التي تفنَّنت في إعطاء تمثيلات مختلفة له، فالرِّواية الحديثة هي الوجه الثَّقافي للتَّوسعات الأوروبية؛ كتَّابها متأثِّرين بالثَّقافة الغربية المركزية، حيث «**لا تخلو ثقافة من الثقافات من تمثيل للذات أو الآخر، فان التمثيل هو الذي يعطي للجماعة صورة ما عن نفسها وعن الآخر**»[2]. فغالباً ما كانت الرِّواية الانكليزية تصوِّر الآخر على أنَّه متخلِّف وهمجي لا يمكنه أن يرقى لمكانة الرَّجل الأبيض الأوروبي ، لذلك فالآخر هو تلك «**الذَّات المستبعدة أو "التي يتم التَّسيد عليها"، التي يخلقها خطاب القوَّة، وتصف صياغة الآخر السُّبل المتعدِّدة التي يخلق بها الخطاب**

[1]– روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال،مرجع سابق، ص43 .

[2]– نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السُّود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسَّسة العربية للدِّراسات والنَّشر، ط1، 2004 ص15.

الكولونيالي تابعيه»[1]. فقد أنتجه الخطاب الكولونيالي وصاغه وفق ما يناسبه، لكن **كيبلينغ** في كتابه الأدغال تجاوز كل الحدود فلم يكتفي بتمثيل الآخر فقط، وإنَّما تمادى إلى تمثيل الهند على أنَّها أدغال تضم مجموعة من الحيوانات المتشرِّدة، يرمز كل حيوان في القصَّة إلى شخوص في الواقع وبذلك يكون **كيبلينغ** قد انتزع الصفة الإنسانية من شعب الهند ليبرر للمستعمر الانكليزي فعلته مثل ما يقول سعد البازعي و ميجان الرويلي: «**الغرب سيرصد كل السِّمات الَّتي يختلف بها الشَّرق عن الغرب بوصفها سمات دونية غير أدمية، لكن المفارقة التي تتجسَّد دائما ضمن خطاب الذَّات والآخر هي مفارقة الجوهر نفسه**»[2]. وهذا ما قام به **كيبلينغ** في روايته فالاختلاف الذي طرحه بين الذات الأوروبية و غيرها هو اختلاف جوهري ميَّز الأوروبي عن الآخر بِانتزاع الصِّفات الآدمية من الشَّعب الهندي .

ويمكن تفسير رموز القصَّة بِاعتبار ماوكلي يمثِّل الرَّجل الإنكليزي؛ تظهر براعته في كونه يستطيع التَّحكم في حيوانات الأدغال مثلما اِستطاعت إنكلترا أن تبسط هيمنتها على شعب الهند «**كن قائدنا يا جرو البشر فقد سئمنا العيش بلا قانون، ونريد أن نرجع شعب الأحرار كما كنا**»[3]. يتبين هنا أنَّ ماوكلي هو من له القدرة على حكم حيوانات الغابة كذلك إنكلترا هي التي تستطيع أن تحكم الهند بقوانينها.

[1]– بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، مفاهيم رئيسية، ص265.

[2]– ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النَّاقد الأدبي، ص22.

[2]– روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال، ص98.

كما نجد أيضا ماوكلي يتميَّز بالذَّكاء على كل من يوجد في المملكة، فهو لا ينتمي إلى حيوانات الأدغال ولا إلى سكان المدينة؛ ذكي وقوي ويستطيع التحكم في كل من في الأدغال «**إنَّه حكيم وقد تعلم الكثير، وفوق ذلك يملك عينين تخيفان شعب الأدغال**»[1]. «**لقد فعلنا حسنا قال أكيلا إنَّ البشر وأبناؤهم حكماء ويوما ما سيصبح عونا لنا**»[2]. فموكلي يتميز بالحكمة ليس كشعب الأدغال فهذا دليل واضح على أن الرَّجل الإنكليزي ذكي وحكيم فهو متميز عن باقي الشُّعوب وهنا أيضا يثبت كيبلينغ تأثره بالمركزية الأوروبية.

كما نعرف الهند هي من أكثر المجتمعات في العالم التي تعرف بتعدُّد الثَّقافات كونها مجتمعا هجين متعدد الدِّيانات واللُّغات والتقاليد تحتفل بالعديد من الأعياد و المناسبات كما تحتفل بالمهرجانات الدينية لعل أشهرها ديوالي الخاص بالهندوس و... ، ولها ما يقارب 22 لغة رسمية معترف بها إلى جانب اللهجات واللكنات لذلك المستعمر الانكليزي سعى للتَّعرف على تلك الثَّقافة المتعدِّدة وأتقن اللُّغات المختلفة ليتمكَّن من الهيمنة على الشَّعب الهندي كم يقول **كيبلينغ** «**بلغة أي شعب ففي الأدغال لغات عديدة وأنا أعرفها** »[3]. فماوكلي يعرف كل اللُّغات في المملكة الحيوانية كما يعرف لغة البشر وثقافتهم له المعرفة التي خوَّلته لممارسة السلطة عليهم كما يرى الفيلسوف الفرنسي **ميشال فوكو** أنَّ المعرفة وسيلة لامتلاك السُّلطة

[1]– روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال، مرجع سابق، ص49.

[2]– المرجع نفسه، ص18.

[3]– المرجع نفسه، ص40.

كذلك الإنكليزي سعوا لمعرفة الثَّقافات المتعدِّدة واللُّغات المختلفة الَّتي تحملها الهند من أجل تسهيل ممارسة الهيمنة والسُّلطة على الشَّعب الهندي وحكومته.

فتلك المعرفة التي كسبها الإنكليز خلال فترة اِستعمارهم للهند مكنتهم من التحكم في الشعب وتطبيق القوانين عليه بما يخدم مصالح الإمبراطورية حيث يقول **كيبلينغ** «**غير إنكم كلابا أقودها حيث أريد انطلقوا**»[1]. فالانكليز يرى أنَّ الشعب الهندي متخلف همجي وضعيف لا يليق به سوى أن يحكم و يطبِّق القوانين وينفِّذ الأوامر ف **كيبلينغ** لم ينظر لهم على أنهم بشر وإنَّما مشكلات تتطلب الحصر والاستعمار « **تقدم نحو شيرخان الذي كان يطرف بعينيه بغباء محدقا باللهب وأمسك بخصلة الشعر على ذقنه...اِنهض أيها الكلب صاح ماوكلي انهض حين يتكلم الإنسان وإلا سأشعل النار بفرائك هذا** »[2]. فمن خلال نص كيبلينغ يمكننا أن نستنتج أن العلاقة بين الإمبراطورية الانكليزية ومستعمراتها يمكن تمثيلها بعلاقة السيد بالخدم فلا يحق للخادم سوى الامتثال لأوامر سيِّده وتطبيقها وإلا سيلقى العقاب، فبإتباع منهاج سعيد في قراءته الطباقية للنصوص الغربية مكنتنا من رصد تلك المعاملات القاسية التي كان يلقاها الشعب الهندي جراء رفضه الخضوع للسلطة الإنكليزية «**ثم ضرب شيرخان بالغصن على رأسه فاخذ ينشج ويئن من الألم والخوف**»[3]. فالنَّمر شيرخان تعرض للقتل من طرف ماوكلي لأنه رفض أن يخضع له ولم يسمح له بالعيش في

[1]– روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال، ص32.

[2]– المرجع نفسه، ص32.

[3]– المرجع نفسه، ص32.

الأدغال لأنه لا ينتمي إليه تماما مثل ما فعل الانكليز بمن كسر القوانين ورفض الخضوع للسُّلطة الانكليزية .

وفي القصة نرصد فئتين من الحيوانات؛ هناك الذئاب والدُّب **بالو** و**باغيرا** فهي حيوانات صالحة تتبع قوانين الغاب وتسعى لمساعدة ماوكلي للانتقام من النَّمر فهي شخصيات ترمز إلى تلك الفئة من الشَّعب الهندي الذي قبل على نفسه أن يكون تابع للانكليز وسعى إلى تنفيذ الأوامر أما الفئة الثانية من الحيوانات فهي سيئة تسعى لكسر قوانين الغاب كما أنَّها تعرف بكرهها الشديد لماوكلي مثل النَّمر شيرخان والقرود، فالنَّمر **شيرخان** يرمز إلى نقيض التَّحضر وخرق القوانين فتسمية هذه الشخصية بالنمر لها دلالة فكما نعرف للنمور مكانة في الثَّقافة الهندية فهي رمز الشجاعة والقوة لكن **كيبلينغ** نسب شخصية النَّمر لـ **شيرخان** الذي يعرف بجبنه وهذا دليل على الاستهزاء بالثَّقافة الهندية كما يمكننا تفسير هذه الشخصية على أنَّها تمثِّل تلك الفئة من الشَّعب الَّذي قاوم الإِحتلال وكسر قوانين الإمبراطورية ولم يقبل الخضوع للسيطرة الإنكليزية «**كان يمكن لذلك السفاح أن يقتله و يلوذ بالفرار إلى الوانغانغا**»[1]. «**شيرخان طويل الذيل كثير الكلام مثل طاووس ماو**»[2]. **كيبلينغ** فقد تفنن كيبلينغ في تمثيل الآخر فاعتبر الهندي قاتل وسفَّاح وهمجي لأنَّه لم يرضخ لحكم الإمبراطورية.

[1]– روديارد كيبلينغ،كتاب الأدغال، مرجع سابق، ص14.

[2]– المرجع نفسه، ص22.

في القصَّة يطلق الحيوانات على النَّار اِسم الزَّهرة الحمراء لأنَّهم أقل تحضرا فهم لا يطلقون عليها اِسمها الصَّحيح كما يخافونها خوفا جما حتى أنهم لا يستطيعون الاقتراب منها على عكس **ماوكلي** الَّذي يعرف جيدا كيف يتعامل معها ويشير إليها باسمها الصحيح تماما مثل الشَّعب الهندي بل وبقية شعوب دول العالم الثالث الذين فشلوا في فهم التكنولوجيا الحديثة ولا يعرفون طريقة العمل بها لأنهم متخلفين وأقل تمدنا «**اذهب بسرعة نحو أكواخ البشر في القرية أسفل الوادي و خذ بعضا من الوردة الحمراء التي تنمو هناك هكذا يصبح لديك عند الضرورة حليف أقوى مني و من بالو ومن أفراد القطيع الذي يحبونك...احصل على الوردة الحمراء يقصد باغيرا النار بقوله وردة حمراء فلا احد في الأدغال يدعو النَّار باسمها كل حيوان يرتعد منها خوفا و يبدع مئة طريقة لوصفها**»[1]. الرَّجل الهندي بنظر **كيبلينغ** لا يستطيع مواكبة موجات التقدم في العالم ولا يعرف كيف يتعامل معها بل يخافها لأنه إنسان بدائي وهمجي لا يفكر بعقله ولا يمتلك الذكاء الذي يجعله يتقبل التكنولوجيا الحديثة ويمارسها.

فالشَّعب الهندي حسب كيبلينغ مجموعة حيوانات غبية تعيش في غابة عجيبة فهم حسبه «**ثرثارون، حمقى، فارغون، فارغون، حمقى وثرثارون هم هؤلاء القردة**»[2] .

[1]– روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال، مرجع سابق، ص24.

[2]– المرجع نفسه، ص53.

«سمى القرود المكان مدينتهم و تظاهروا بازدراء شعب الأدغال بسبب عيشهم في الغابة، مع ذلك لم يكونوا على علم بهدف بناء هذه المباني ولم يعرفوا كيف يستخدمونها »[1].

فبالرَّغم من الإمكانيات التي تتوفر عليها الهند إلا أن شعبها لم يكن يعرف كيفية استخدماها ليتقدَّموا نحو الأمام فهم شعب همجي لا يعرف كيفية استثمار ما تتوفر عليه البلاد .

لقد برع **كيبلينغ** في تمثيل الآخر وأعطاه أبشع صور وتفنن في وصف درجة التَّخلف والضَّعف التي يعاني منها الرَّجل الهندي وما هذه التمثيلات إلا تبرير للاستعمار البريطاني وحتى يحسِّن صورته أما الرأي العام على أنَّه جاء لنشر الحضارة والعلم بين أفراد الشَّعب الهندي وأنَّ الهنود غير قادرين على حكم أنفسهم وبالتَّالي الإمبراطورية ستتولى حكم الهند لمصلحتها.

[1]– روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال، مرجع سابق، ص57.

الخاتمة

لقد قمنا في هذا البحث المتواضع بإعادة النَّظر في الرِّواية الأوروبية الكولونيالية ودراستها طباقيا؛ بهدف كشف مختلف الأنساق والدَّلالات الَّتي تحملها الرِّواية الإِنكليزية، والوصول إلى تلك الطَّبقة الخفية الَّتي تأسَّست عليها الرِّواية الكولونيالية.

ففي الجانب النَّظري من البحث حاولنا التَّطرق أوَّلاً إلى بعض المفاهيم كالخطاب الخطاب الكولونيالي والدِّراسات الكولونيالية، ثمَّ تناولنا الرِّواية الأوروبية الكولونيالية ومفهوم القراءة الطباقية، أما أخيراً فحاولنا اِستخراج نموذج من تحليل **إدوارد سعيد** للرِّواية الأوروبية في العصر الحديث من كتابه الثَّقافة والامبريالية .

ومن خلال دراستنا هذه توصلنا إلى مجموعة من النَّتائج؛

1- الخطاب نتاج أدبي فكري فلسفي بغض النَّظر عن أنَّه تركيب لغوي، يحمل دلالة فكرية وإديولوجية، ورواية كتاب الأدغال تحمل فكراً اِستعمارياً.

2- **إدوارد سعيد** أوَّل من اعتمد مفهوم الخطاب في كتابه الإِستشراق متأثِّرا بنظرية **فوكو** في تطوير الخطاب.

3- الخطاب الكولونيالي هو مجموعة من المقولات المنظَّمة الَّتي أنتجتها المؤسَّسة الإِستعمارية.

4- **إدوارد سعيد** من بين الأوائل الَّذين أوجدوا الدِّراسات الكولونيالية إلى جانب **فرانس فانون** و**إيمي سيزير**.

5-الأدب الأوروبي المكتوب في العصر الحديث هو أدب يخدم المصالح الاستعمارية.

6- القراءة الطباقية هي منهاج جديد طبَّقه إدوارد سعيد خلال دراسة للرِّواية الأوروبية الحديثة.

أمَّا الفصل الثَّاني فكان هو الجانب التطبيقي من البحث، حيث حاولنا تطبيق منهاج إدوارد سعيد في دراسته للرِّواية الأوروبية الكولونيالية على كتاب الأدغال لـ **روديارد كيبلينغ**، وخلصنا إلى النتائج التالية؛

1- الدِّراسات الكولونيالية خلقت طريقة قراءة جديدة تتجاور القراءة الكلاسيكية إلى القراءة الطباقية، وهي قراءة أوجدها إدوارد سعيد واِستعملها في كتابه الثَّقافة والامبريالية.

2- قامت القراءة الطباقية بتفكيك الخطاب الكولونيالي و كشف بنيته الخفية.

3- تخلى الأدب الإنكليزي في القرن التَّاسع عشر عن وظيفته الأساسية وأصبح وسيلة للهيمنة على شعوب البلدان الضَّعيفة.

4- كتاب الأدغال هو نتاج أدبي أوروبي متشبِّع بالمركزية الغربية، ويعتبر خطاباً كولونيالياً خادماً للإمبراطورية الإنكليزية.

5- الأدب الغربي متشبع بالأنا الأوروبية، ويحمل بنية فكرية تراكمت عبر التَّاريخ وتظهر في البنية النَّصية للرِّوايات الَّتي يكتبها مؤلفون غربيون.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ مصادر البحث ومراجعه

❖ المصادر

1. إدوارد سعيد، الإستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر محمد عناني، رؤية للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ط1.
2. روديارد كيبلينغ، كتاب الأدغال، تر آلاء نحلاوي ، منشورات تكوين،الشيوخ الصناعية الجديدة، الكويت، ط1 سبتمبر/ أيلول 2019 .

المراجع

3. سلامة موسى، الأدب الإنكليزي الحديث، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر.
4. سليم حيولة، اِستراتيجيات النَّقد الثَّقافي في الخطاب المعاصر من القراءة الجمالية إلى القراءة الثَّقافية بحث في الأصول المعرفية، دار ميم للنَّشر و التَّوزيع، الجزائر، ط1، 2019.
5. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النَّاقد الأدبي، المركز الثَّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.
6. نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدِّراسات والنَّشر، الصَّنايع، بيروت، ط1، 2004.

المراجع المترجمة

7. إدوارد سعيد، الإستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر محمد عناني، رؤية للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ط1.

8. إدوارد سعيد، الثَّقافة والإمبريالية، تر كمال أبو ديب، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط4، 2013.

9. آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار، تر محمد عبد الغني غنُّوم، دار الحوار للنَّشر والتَّوزيع، اللاَّذقية، سورية، ط1، 2007.

10. بيل أشكروفت، بال أهواليا، إدوارد سعيد، مفارقة الهوية.

11. بيل أشكروفت، جاريث جريفث، هيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرَّئيسة، تر أحمد الرُّوبي وآخرون، المركز القومي للتَّرجمة، ط1، 2010.

12. طوني موريس، صورة الآجر في الخيال الأدبي، تر محمد ميشال، منشورات مشروع البحث النَّقدي ونظرية التَّرجمة، ط1، 2009.

13. فرانس فانون، معذبو الأرض، تر د.سامي الدَّروبي جمال الأتاسي، مدارات الأبحاث والنَّشر، القاهرة، مصر، ط2، 2015.

14. مارتن غرين، الرِّواية الإنكليزية في القرن العشرين، تر محمد العبد الله، دار الفرقد، ط1.

15. ميشال فوكو، نظام الخطاب، تر محمد سبيلا، التنوير.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المقدمة 06

إهداء

إهداء

شكر وتقدير

الفصل الأول:الدِّراسات الكولونيالية وتحليل الخطاب الغربي حول الآخر

المبحث الأوَّل: الدراسات الكولونيالية و الرِّواية

أوَّلاً: الدراسات الكولونيالية و استثمارها لمفهوم الخطاب.....11

1- مفهوم الخطاب.....11

2- مفهوم الكولونيالية.....15

3- الدراسات الكولونيالية.....18

ثانيًا؛ الرواية الأوروبية الكولونيالية 21

المبحث الثَّاني؛ القراءة الطباقية و كشف تحيزات الكتابات الأوروبية

أوَّلاً؛ مفهوم القراءة الطباقية.....25

ثانيًا؛ الرِّواية الإنكليزية وكشف تحيزات الأنا.....30

1- الرواية الإنكليزية.....30

2- تمثيلات فضاء الآخر.....34

الفصل الثاني؛ تجليات فضاء الآخر وتمثيلات الآخر الهندي في الرواية

المبحث الأوَّل؛ روديارد كيبلينغ والأدب الإنكليزي في الهند

أوَّلاً؛ روديارد كيبلينغ 38

1-2 أدب كيبلينغ الإنكليزي.....40

المبحث الثَّاني؛ فضاء الآخر و كشف تحيزات كتابات كيبلينغ

أوَّلاً؛ ملخص قصَّة ماوكلي.....43

ثانيا؛ فضاء الآخر.....46

1- قراءة في عنوان الكتاب 47

2- قراءة في المحتوى.....47

ثالثًا؛ تمثيلات الآخر.....50

الخاتمة : 59

مصادر البحث ومراجعه.....62

فهرس المحتويات.....66